القصة

قصة تعاملات الله مع الإنسان

www.christianlib.com

جميع النصوص مأخوذة من الترجمة العربية للكتاب المقدس

١

البدايات

في البَدءِ خَلَقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ. وكانتِ الأرضُ خَرِبَةً وخاليةً، وعلَى وجهِ الغَمرِ (المياه) ظُلمَةٌ، وروحُ اللهِ يَرِفُّ (يرفرف) علَى وجهِ المياهِ.

وقالَ اللهُ: «ليَكُنْ نورٌ»، فكانَ نورٌ. ورأى اللهُ النّورَ أنَّهُ حَسَنٌ. وفَصَلَ اللهُ بَينَ النّورِ والظُّلمَةِ. ودَعا اللهُ النّورَ نهارًا، والظُّلمَةُ دَعاها ليلًا. وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا واحِدًا.

وقالَ اللهُ: «ليَكُنْ جَلَدٌ (سماء) في وسَطِ المياهِ. وليَكُنْ فاصِلًا بَينَ مياهٍ ومياهٍ». فعَمِلَ اللهُ الجَلَدَ، وفَصَلَ بَينَ المياهِ الّتي تحتَ الجَلَدِ والمياهِ الّتي فوقَ الجَلَدِ. وكانَ كذلكَ. ودَعا اللهُ الجَلَدَ سماءً. وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا ثانيًا.

وقالَ اللهُ: «لتَجتَمِعِ المياهُ تحتَ السماءِ إلَى مَكانٍ واحِدٍ، ولتَظهَرِ اليابِسَةُ». وكانَ كذلكَ. ودَعا اللهُ اليابِسَةَ أرضًا، ومُجتَمَعَ المياهِ دَعاهُ بحارًا. ورأى اللهُ ذلكَ أنَّهُ حَسَنٌ.

وقالَ اللهُ: «لتُنبِتِ الأرضُ عُشبًا وبَقلًا يُبزِرُ بزرًا، وشَجَرًا ذا ثَمَرٍ يَعمَلُ ثَمَرًا كجِنسِهِ، بزرُهُ فيهِ علَى الأرضِ». وكانَ كذلكَ. فأخرَجَتِ الأرضُ عُشبًا وبَقلًا يُبزِرُ بزرًا كجِنسِهِ (كنوعه)، وشَجَرًا يَعمَلُ ثَمَرًا بزرُهُ فيهِ كجِنسِهِ. ورأى اللهُ ذلكَ أنَّهُ حَسَنٌ. وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا ثالِثًا.

وقالَ اللهُ: «لتَكُنْ أنوارٌ في جَلَدِ السماءِ لتَفصِلَ بَينَ النَّهارِ واللَّيلِ، وتكونَ لآياتٍ (علامات) وأوقاتٍ وأيّامٍ وسِنينٍ. وتكونَ أنوارًا في جَلَدِ السماءِ لتُنيرَ علَى الأرضِ». وكانَ كذلكَ. فعَمِلَ اللهُ النّورَينِ العظيمَينِ: النّورَ الأكبَرَ لحُكمِ النَّهارِ، والنّورَ الأصغَرَ لحُكمِ اللَّيلِ، والنُّجومَ. وجَعَلها اللهُ في جَلدِ السماءِ لتُنيرَ علَى الأرضِ، ولِتَحكُمَ علَى النَّهارِ واللَّيلِ، ولِتَفصِلَ بَينَ النّورِ والظُّلمَةِ. ورأى اللهُ ذلكَ أنَّهُ حَسَنٌ. وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا رابِعًا.

وقالَ اللهُ: «لتَفِضِ المياهُ زَحّافاتٍ ذاتَ نَفسٍ حَيَّةٍ، وليَطِرْ طَيرٌ فوقَ الأرضِ علَى وجهِ جَلَدِ السماءِ». فخَلَقَ اللهُ التَّنانينَ العِظامَ، وكُلَّ ذَواتِ الأنفُسِ الحيَّةِ الدَّبّابَةِ (التي تتحرك) التِي فاضَتْ بها المياهُ كأجناسِها، وكُلَّ طائرٍ ذي جَناحٍ كجِنسِهِ. ورأى اللهُ ذلكَ أنَّهُ حَسَنٌ. وبارَكَها اللهُ قائلًا: «أثمِري واكثُري واملإي المياهَ في البِحارِ. وليَكثُرِ الطَّيرُ علَى الأرضِ». وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا خامِسًا.

وقالَ اللهُ: «لتُخرِجِ الأرضُ ذَواتِ أنفُسٍ حَيَّةٍ كجِنسِها: بَهائمَ، ودَبّاباتٍ، ووُحوشَ أرضٍ كأجناسِها». وكانَ كذلكَ. فعَمِلَ اللهُ وُحوشَ الأرضِ كأجناسِها، والبَهائمَ كأجناسِها، وجميعَ دَبّاباتِ الأرضِ كأجناسِها. ورأى اللهُ ذلكَ أنَّهُ حَسَنٌ.

وقالَ اللهُ: «نَعمَلُ الإنسانَ علَى صورَتِنا كشَبَهِنا، فيَتسَلَّطونَ علَى

سمَكِ البحرِ وعلَى طَيرِ السماءِ وعلَى البَهائمِ، وعلَى كُلِّ الأرضِ، وعلَى جميعِ الدَّبّاباتِ الّتي تدِبُّ علَى الأرضِ».

فخَلَقَ اللهُ الإنسانَ علَى صورَتِهِ.

علَى صورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وأُنثَى خَلَقَهُمْ.

وبارَكَهُمُ اللهُ وقالَ لهُمْ: «أثمِروا واكثُروا واملأوا الأرضَ، وأخضِعوها، وتَسَلَّطوا علَى سمَكِ البحرِ وعلَى طَيرِ السماءِ وعلَى كُلِّ حَيَوانٍ يَدِبُّ علَى الأرضِ».

وقالَ اللهُ: «إنّي قد أعطَيتكُمْ كُلَّ بَقلٍ يُبزِرُ بزرًا علَى وجهِ كُلِّ الأرضِ، وكُلَّ شَجَرٍ فيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبزِرُ بزرًا لكُمْ يكونُ طَعامًا. ولِكُلِّ حَيَوانِ الأرضِ وكُلِّ طَيرِ السماءِ وكُلِّ دَبّابَةٍ علَى الأرضِ فيها نَفسٌ حَيَّةٌ، أعطَيتُ كُلَّ عُشبٍ أخضَرَ طَعامًا». وكانَ كذلكَ. ورأى اللهُ كُلَّ ما عَمِلهُ فإذا هو حَسَنٌ جِدًّا. وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا سادِسًا.

فأُكمِلَتِ السماواتُ والأرضُ وكُلُّ جُندِها (كل ما فيها). وفَرَغَ اللهُ في اليومِ السّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الّذي عَمِلَ. فاستَراحَ في اليومِ السّابعِ مِنْ جميعِ عَملِهِ الّذي عَمِلَ. وبارَكَ اللهُ اليومَ السّابعَ وقَدَّسَهُ، لأنهُ فيهِ استَراحَ مِنْ جميعِ عَمَلِهِ الّذي عَمِلَ اللهُ خالِقًا.

هذِهِ مَبادِئُ (نشأة) السماواتِ والأرضِ حينَ خُلِقَتْ، يومَ عَمِلَ الرَّبُّ الإلهُ الأرضَ والسماواتِ. كُلُّ شَجَرِ البَريَّة لَمْ يَكُنْ بَعدُ في الأرضِ، وكُلُّ عُشبِ البَريَّة لَمْ يَنبُتْ بَعدُ، لأنَّ الرَّبَّ الإلهَ لَمْ يَكُنْ قد أمطَرَ علَى الأرضِ، ولا كانَ إنسانٌ ليَعمَلَ الأرضَ. ثُمَّ كانَ ضَبابٌ يَطلَعُ مِنَ الأرضِ ويَسقي كُلَّ وجهِ الأرضِ. وجَبلَ (شكّل) الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرابًا مِنَ الأرضِ، ونَفَخَ في أنفِهِ نَسَمَةَ حياةٍ. فصارَ آدَمُ نَفسًا حَيَّةً.

وغَرَسَ الرَّبُّ الإلهُ جَنَّةً في عَدنٍ شَرقًا، ووضَعَ هناكَ آدَمَ الّذي

جَبَلَهُ. وأنبَتَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأرضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهيَّةٍ للنَّظَرِ وجَيِّدَةٍ للأكلِ، وشَجَرَةَ الحياةِ في وسَطِ الجَنَّةِ، وشَجَرَةَ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرِّ.

وأخَذَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ ووضَعَهُ في جَنَّةِ عَدنٍ ليَعمَلها ويَحفَظَها. وأوصَى الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ قائلًا: «مِنْ جميعِ شَجَرِ الجَنَّةِ تأكُلُ أكلًا، وأمّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرِّ فلا تأكُلْ مِنها، لأنَّكَ يومَ تأكُلُ مِنها موتًا تموتُ».

وقالَ الرَّبُّ الإلهُ: «ليس جَيِّدًا أنْ يكونَ آدَمُ وحدَهُ، فأصنَعَ لهُ مُعينًا نَظيرَهُ». وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأرضِ كُلَّ حَيواناتِ البَريَّة وكُلَّ طُيورِ السماءِ، فأحضَرَها إلَى آدَمَ ليَرَى ماذا يَدعوها، وكُلُّ ما دَعا بِهِ آدَمُ ذاتَ نَفسٍ حَيَّةٍ فهو اسمُها. فدَعا آدَمُ بأسماءٍ جميعَ البَهائمِ وطُيورَ السماءِ وجميعَ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ. وأمّا لنَفسِهِ فلَمْ يَجِدْ مُعينًا نَظيرَهُ. فأوقَعَ الرَّبُّ الإلهُ سُباتًا (نومًا عميقًا) علَى آدَمَ فنامَ، فأخَذَ واحِدَةً مِنْ أضلاعِهِ ومَلأَ مَكانَها لَحمًا. وبَنَى الرَّبُّ الإلهُ الضِّلعَ الّتي أخَذَها مِنْ آدَمَ امرأةً وأحضَرَها إلَى آدَمَ. فقالَ آدَمُ:

«هذِهِ الآنَ عَظمٌ مِنْ عِظامي
ولَحمٌ مِنْ لَحمي.
هذِهِ تُدعَى امرأةً
لأنَّها مِنِ امرِءٍ أُخِذَتْ».

لذلكَ يترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويَلتَصِقُ بامرأتِهِ ويكونانِ جَسَدًا واحِدًا. وكانا كِلاهُما عُريانَينِ، آدَمُ وامرأتُهُ، وهُما لا يَخجَلانِ.

خلق الله عالمًا جميلاً وملأه بمخلوقات رائعة ومتنوعة. ومن كل هذه المخلوقات اختار الله الإنسان -آدم وحواء- ليُقيم علاقة معه، وقد كان امتياز رائع لآدم وحواء أن يتمتعا بوجودهما معًا في الجنة في محضر الله والشركة معه. إذًا ماذا كان ينقصهما؟

وكانتِ الحَيَّةُ أحيَلَ (أمكر) جميعِ حَيواناتِ البَرّيَّةِ الّتي عَمِلها الرَّبُّ الإلهُ، فقالَتْ للمَرأةِ: «أحقًّا قالَ اللهُ لا تأكُلا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الجَنَّةِ؟».

فقالَتِ المَرأةُ للحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الجَنَّةِ نأكُلُ، وأمّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الّتي في وسَطِ الجَنَّةِ فقالَ اللهُ: لا تأكُلا مِنهُ ولا تَمَسّاهُ لئَلّا تموتا».

فقالَتِ الحَيَّةُ للمَرأةِ: «لن تموتا! بل اللهُ عالِمٌ أنَّهُ يومَ تأكُلانِ مِنهُ تنفَتِحُ أعيُنكُما وتَكونانِ كاللهِ عارِفَينِ الخَيرَ والشَّرَّ».

فرأتِ المَرأةُ أنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ للأكلِ، وأنَّها بَهجَةٌ للعُيونِ، وأنَّ الشَّجَرَةَ شَهيَّةٌ للنَّظَرِ. فأخَذَتْ مِنْ ثَمَرِها وأكلَتْ، وأعطَتْ رَجُلها أيضًا معها فأكلَ. فانفَتحَتْ أعيُنُهُما وعَلِما أنَّهما عُريانانِ. فخاطا أوراقَ تينٍ وصَنَعا لأنفُسِهِما مآزِرَ (ثياب).

وسَمِعا صوتَ الرَّبِّ الإلهِ ماشيًا في الجَنَّةِ عِندَ هُبوبِ ريحِ النَّهارِ، فاختَبأَ آدَمُ وامرأتُهُ مِنْ وجهِ الرَّبِّ الإلهِ في وسَطِ شَجَرِ الجَنَّةِ. فنادَى الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ وقالَ لهُ: «أين أنتَ؟».

فقالَ: «سمِعتُ صوتَكَ في الجَنَّةِ فخَشيتُ، لأنّي عُريانٌ فاختَبأتُ».

فقالَ: «مَنْ أعلَمَكَ أنَّكَ عُريانٌ؟ هل أكلتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الّتي أوصَيتُكَ أنْ لا تأكُلَ مِنها؟».

فقالَ آدَمُ: «المَرأةُ الّتي جَعَلتَها مَعي هي أعطَتني مِنَ الشَّجَرَةِ فأكلتُ».

فقالَ الرَّبُّ الإلهُ للمَرأةِ: «ما هذا الّذي فعَلتِ؟».

فقالَتِ المَرأةُ: «الحَيَّةُ غَرَّتني (خدعتني) فأكلتُ».

فقالَ الرَّبُّ الإلهُ للحَيَّةِ: «لأنَّكِ فعَلتِ هذا،

مَلعونَةٌ أنتِ مِنْ جميعِ البَهائمِ

ومِنْ جميعِ وُحوشِ البَرّيَّةِ.

علَى بَطنِكِ تسعَينَ (تزحفين)
وتُرابًا تأكُلينَ كُلَّ أيّامِ حَياتِكِ.
وأضَعُ عَداوَةً بَينَكِ وبَينَ المَرأةِ،
وبَينَ نَسلِكِ ونَسلِها.
هو يَسحَقُ رأسَكِ،
وأنتِ تسحَقينَ عَقِبَهُ».

وقالَ للمَرأةِ:

«تكثيرًا أُكَثِّرُ أتعابَ حَبَلِكِ،
بالوَجَعِ تلِدينَ أولادًا.
وإلَى رَجُلِكِ يكونُ اشتياقُكِ وهو يَسودُ علَيكِ».

وقالَ لآدَمَ: «لأنَّكَ سمِعتَ لقَوْلِ امرأتِكَ وأكلتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الّتي أوصَيتُكَ قائلًا: لا تأكُلْ مِنها،
مَلعونَةٌ الأرضُ بسَبَبِكَ.
بالتَّعَبِ تأكُلُ مِنها كُلَّ أيّامِ حَياتِكَ.
وشَوْكًا وحَسَكًا تُنبِتُ لكَ،
وتأكُلُ عُشبَ الحَقلِ.
بعَرَقِ وجهِكَ تأكُلُ خُبزًا
حتَّى تعودَ إلَى الأرضِ الّتي أُخِذتَ مِنها.
لأنَّكَ تُرابٌ، وإلَى تُرابٍ تعودُ».

ودَعا آدَمُ اسمَ امرأتِهِ «حَوّاءَ» لأنَّها أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. وصَنَعَ الرَّبُّ الإلهُ لآدَمَ وامرأتِهِ أقمِصَةً مِنْ جِلدٍ وألبَسَهُما.

وقالَ الرَّبُّ الإلهُ: «هوذا الإنسانُ قد صارَ كواحِدٍ مِنّا عارِفًا الخَيرَ والشَّرَّ. والآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ ويأخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الحياةِ أيضًا ويأكُلُ ويَحيا

إلَى الأبدِ». فأخرَجَهُ الرَّبُّ الإلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدنٍ ليَعمَلَ الأرضَ الّتي أُخِذَ مِنها. فطَرَدَ الإنسانَ، وأقامَ شَرقيَّ جَنَّةِ عَدنٍ الكَروبيمَ (ملائكة)، ولهيبَ سيفٍ مُتقَلِّبٍ لحِراسَةِ طريقِ شَجَرَةِ الحياةِ.

وعَرَفَ (تزوج) آدَمُ حَوّاءَ امرأتَهُ فحَبِلَتْ وولَدَتْ قايينَ. وقالَتِ: «اقتَنَيتُ (رزقت) رَجُلًا مِنْ عِندِ الرَّبِّ». ثُمَّ عادَتْ فوَلَدَتْ أخاهُ هابيلَ.

وكانَ هابيلُ راعيًا للغَنَمِ، وكانَ قايينُ عامِلًا في الأرضِ. وحَدَثَ مِنْ بَعدِ أيّامٍ أنَّ قايينَ قَدَّمَ مِنْ أثمارِ الأرضِ قُربانًا[1] للرَّبِّ، وقَدَّمَ هابيلُ أيضًا مِنْ أبكارِ غَنَمِهِ ومِنْ سِمانِها (أسمنها). فنَظَرَ الرَّبُّ إلَى هابيلَ وقُربانِهِ، ولكن إلَى قايينَ وقُربانِهِ لَمْ يَنظُرْ. فاغتاظَ قايينُ جِدًّا وسَقَطَ وجهُهُ (صار عابسًا).

فقالَ الرَّبُّ لقايينَ: «لماذا اغتَظتَ؟ ولِماذا سقَطَ وجهُكَ؟ إنْ أحسَنتَ أفَلا رَفعٌ (مرفوع الراس)؟ وإنْ لَمْ تُحسِنْ فعِندَ البابِ خَطيَّةٌ[2] رابِضَةٌ، وإلَيكَ اشتياقُها وأنتَ تسودُ علَيها».

وكلَّمَ قايينُ هابيلَ أخاهُ. وحَدَثَ إذ كانا في الحَقلِ أنَّ قايينَ قامَ علَى هابيلَ أخيهِ وقَتلهُ.

كانت الاختيارات الخاطئة لآدم وحواء وابنهما البكر قايين، سببًا في المعاناة والمشقة التي حدثت فيما بعد لأبنائهم وأبناء أبنائهم. فبعدما طُرِدوا من جنة عدن، ازداد عدد الناس في الأرض، وبدأوا يرتحلون إلى أماكن مختلفة حاملين في قلوبهم مشاعر سلبية مثل الكراهية والغضب والقتل والخداع. وظل الأمر يزداد سوءًا،

---

١ قربانًا: تقدمة لله للتعبير عن العبادة والشكر أو طلب لغفران الخطايا. وفي العهد القديم كان هناك خمسة أنواع من التقدمات (المحرقة - تقدمة الدقيق - ذبيحة السلامة - ذبيحة الخطية - ذبيحة الإثم). وفي العهد الجديد موت السيد المسيح على الصليب يُعد الذبيحة النهائية الكاملة كفارة عن كل خطايانا.

٢ خطية: شر، فساد أخلاقي، عمل ما هو خطأ، أو عدم طاعة. هذا المصطلح يشير إلى أي فعل، فكر أو توجه لا يتفق مع المقاييس الإلهية.

حيث إن غالبيتهم نسوا خالقهم، وابتعدوا عن الله وعن الهدف من وجودهم. ولم يفكروا في نتيجة أفعالهم، ما عدا شخص واحد.

ورأى الرَّبُّ أنَّ شَرَّ الإنسانِ قد كثُرَ في الأرضِ، وأنَّ كُلَّ تصَوُّرِ أفكارِ قَلبِهِ إنَّما هو شِرّيرٌ كُلَّ يومٍ. فحَزِنَ الرَّبُّ أنَّهُ عَمِلَ الإنسانَ في الأرضِ، وتأسَّفَ في قَلبِهِ. فقالَ الرَّبُّ: «أمحو عن وجهِ الأرضِ الإنسانَ الّذي خَلَقتُهُ، الإنسانَ مع بَهائمَ ودَبّاباتٍ وطُيورِ السماءِ، لأنّي حَزِنتُ أنّي عَمِلتُهُمْ». وأمّا نوحٌ فوَجَدَ نِعمَةً في عَينَيِ الرَّبِّ.

هذِهِ مَواليدُ نوحٍ: كانَ نوحٌ رَجُلًا بارًّا[٣] كامِلًا في أجيالِهِ. وسارَ نوحٌ مع اللهِ. وولَدَ نوحٌ ثَلاثَةَ بَنينَ: سامًا، وحامًا، ويافَثَ. وفَسَدَتِ الأرضُ أمامَ اللهِ، وامتَلأتِ الأرضُ ظُلمًا. ورأى اللهُ الأرضَ فإذا هي قد فسدَتْ، إذ كانَ كُلُّ بَشَرٍ قد أفسَدَ طريقَهُ علَى الأرضِ.

فقالَ اللهُ لنوحٍ: «نِهايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قد أتَتْ أمامي، لأنَّ الأرضَ امتَلأتْ ظُلمًا مِنهُمْ. فها أنا مُهلِكُهُمْ مع الأرضِ. اِصنَعْ لنَفسِكَ فُلكًا (سفينة) مِنْ خَشَبِ جُفرٍ. تجعَلُ الفُلكَ مَساكِنَ (حجرات)، وتَطليهِ مِنْ داخِلٍ ومِنْ خارِجٍ بالقارِ. وهكذا تصنَعُهُ: ثَلاثَ مِئَةِ ذِراعٍ (الذراع حوالي ٥٠ سم) يكونُ طولُ الفُلكِ، وخَمسينَ ذِراعًا عَرضُهُ، وثَلاثينَ ذِراعًا ارتِفاعُهُ. وتَصنَعُ كوًّا (نوافذ) للفُلكِ، وتُكَمِّلُهُ إلَى حَدِّ ذِراعٍ مِنْ فوقُ.

وتَضَعُ بابَ الفُلكِ في جانِبِهِ. مَساكِنَ سُفليَّةً ومُتوسِّطةً وعُلويَّةً تجعَلُهُ. فها أنا آتٍ بطوفانِ الماءِ علَى الأرضِ لأُهلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فيهِ روحُ حياةٍ مِنْ تحتِ السماءِ. كُلُّ ما في الأرضِ يَموتُ. ولكن أُقيمُ عَهدي[٤] معكَ، فتدخُلُ الفُلكَ أنتَ وبَنوكَ وامرأتُكَ ونِساءُ بَنيكَ

---

٣ بارًا: يحيا حسب وصايا الله وأحكامه، ويسلك بالحق والعدل.

٤ عهدي: اتفاق أو وعد بين طرفين، ويتميز العهد بأنه لا رجوع فيه.

معكَ. ومِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذي جَسَدٍ، اثنَينِ مِنْ كُلٍّ تُدخِلُ إلَى الفُلكِ لاستِبقائها معكَ. تكونُ ذَكَرًا وأُنثَى. مِنَ الطُّيورِ كأجناسِها، ومِنَ البَهائمِ كأجناسِها، ومِنْ كُلِّ دَبّاباتِ الأرضِ كأجناسِها. اثنَينِ مِنْ كُلٍّ تُدخِلُ إلَيكَ لاستِبقائها.

وأنتَ، فخُذْ لنَفسِكَ مِنْ كُلِّ طَعامٍ يؤكلُ واجمَعهُ عِندَكَ، فيكونَ لكَ ولها طَعامًا». ففَعَلَ نوحٌ حَسَبَ كُلِّ ما أمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكذا فعَلَ.

وقالَ الرَّبُّ لنوحٍ: «ادخُلْ أنتَ وجميعُ بَيتِكَ إلَى الفُلكِ، لأنّي إيّاكَ رأيتُ بارًّا لَدَيَّ في هذا الجيلِ. لأنّي بَعدَ سبعَةِ أيّامٍ أيضًا أُمطِرُ علَى الأرضِ أربَعينَ يومًا وأربَعينَ ليلَةً. وأمحو عن وجهِ الأرضِ كُلَّ قائمٍ (كل كائن حيّ) عَمِلتُهُ».

ولَمّا كانَ نوحٌ ابنَ سِتِّ مِئَةِ سنَةٍ صارَ طوفانُ الماءِ علَى الأرضِ، فدَخَلَ نوحٌ وبَنوهُ وامرأتُهُ ونِساءُ بَنيهِ معهُ إلَى الفُلكِ مِنْ وجهِ مياهِ الطّوفانِ. ومِنَ البَهائمِ الطّاهِرَةِ والبَهائمِ الّتي لَيسَتْ بطاهِرَةٍ، ومِنَ الطُّيورِ وكُلِّ ما يَدِبُّ علَى الأرضِ: دَخَلَ اثنانِ اثنانِ إلَى نوحٍ إلَى الفُلكِ، ذَكَرًا وأُنثَى، كما أمَرَ اللهُ نوحًا.

وحَدَثَ بَعدَ السَّبعَةِ الأيّامِ أنَّ مياهَ الطّوفانِ صارَتْ علَى الأرضِ. في ذلكَ اليومِ عَينِهِ دَخَلَ نوحٌ، وسامٌ وحامٌ ويافَثُ بَنو نوحٍ، وامرأةُ نوح، وثَلاثُ نِساءِ بَنيهِ معهُمْ إلَى الفُلكِ. هُم وكُلُّ الوُحوشِ كأجناسِها، وكلُّ البَهائمِ كأجناسِها، وكلُّ الدَّبّاباتِ الّتي تدِبُّ علَى الأرضِ كأجناسِها، وكلُّ الطُّيورِ كأجناسِها: كُلُّ عُصفورٍ، كُلُّ ذي جَناحٍ. ودَخَلَتْ إلَى نوحٍ إلَى الفُلكِ، اثنَينِ اثنَينِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فيهِ روحُ حياةٍ. والدّاخِلاتُ دَخَلت ذَكَرًا وأُنثَى، مِنْ كُلِّ ذي جَسَدٍ، كما أمَرَهُ اللهُ. وأغلَقَ الرَّبُّ علَيهِ.

وكانَ الطّوفانُ أربَعينَ يومًا علَى الأرضِ. وتَكاثَرَتِ المياهُ ورَفَعَتِ

الفُلكَ، فارتَفَعَ عن الأرضِ. وتَعاظَمَتِ المياهُ وتَكاثَرَتْ جِدًّا علَى الأرضِ، فكانَ الفُلكُ يَسيرُ علَى وجهِ المياهِ. وتَعاظَمَتِ المياهُ كثيرًا جِدًّا علَى الأرضِ، فتغَطَّتْ جميعُ الجِبالِ الشّامِخَةِ الّتي تحتَ كُلِّ السماءِ. خَمسَ عشَرَةَ ذِراعًا في الإِرتِفاعِ تعاظَمَتِ المياهُ، فتغَطَّتِ الجِبالُ.

فماتَ كُلُّ ذي جَسَدٍ كانَ يَدِبُّ علَى الأرضِ مِنَ الطُّيورِ والبَهائمِ والوُحوش، وكُلُّ الزَّحّافاتِ الّتي كانتْ تزحَفُ علَى الأرضِ، وجميعُ النّاسِ. كلُّ ما في أنفِهِ نَسَمَةُ روحِ حياةٍ مِنْ كُلِّ ما في اليابِسَةِ ماتَ.

فمَحا اللهُ كُلَّ قائمٍ كانَ علَى وجهِ الأرضِ: النّاسَ، والبَهائمَ، والدَّبّاباتِ، وطُيورَ السماءِ. فانمَحَتْ مِنَ الأرضِ. وتَبقَّى نوحٌ والّذينَ معهُ في الفُلكِ فقط. وتَعاظَمَتِ المياهُ علَى الأرضِ مِئَةً وخَمسينَ يومًا.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نوحًا وكُلَّ الوُحوشِ وكُلَّ البَهائمِ الّتي معهُ في الفُلكِ. وأجازَ (أرسل) اللهُ ريحًا علَى الأرضِ فهَدأتِ المياهُ. وانسَدَّتْ يَنابيعُ الغَمرِ (مياه من باطن الأرض) وطاقاتُ السماءِ، فامتَنَعَ المَطَرُ مِنَ السماءِ. ورَجَعَتِ المياهُ عن الأرضِ رُجوعًا مُتَواليًا. وبَعدَ مِئَةٍ وخَمسينَ يومًا نَقَصَتِ المياهُ.

واستَقَرَّ الفُلكُ في الشَّهرِ السّابعِ، في اليومِ السّابعَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ، علَى جِبالِ أراراطَ. وكانتِ المياهُ تنقُصُ نَقصًا مُتَواليًا إلَى الشَّهرِ العاشِرِ. وفي العاشِرِ في أوَّلِ الشَّهرِ، ظَهَرَتْ رؤوسُ الجِبالِ.

وكانَ في السَّنَةِ الواحِدَةِ والسِّتِّ مِئَةٍ، في الشَّهرِ الأوَّلِ في أوَّلِ الشَّهرِ، أنَّ المياهَ نَشِفَتْ عن الأرضِ. فكشَفَ نوحٌ الغِطاءَ عن الفُلكِ ونَظَرَ، فإذا وجهُ الأرضِ قد نَشِفَ. وفي الشَّهرِ الثّاني، في اليومِ السّابعِ والعِشرينَ مِنَ الشَّهرِ، جَفَّتِ الأرضُ.

وكلَّمَ اللهُ نوحًا قائلًا: «اخرُجْ مِنَ الفُلكِ أنتَ وامرأتُكَ وبَنوكَ ونِساءُ بَنيكَ معكَ. وكُلَّ الحَيواناتِ الّتي معكَ مِنْ كُلِّ ذي جَسَدٍ: الطُّيورِ، والبَهائمِ، وكُلَّ الدَّبّاباتِ الّتي تدِبُّ علَى الأرضِ، أخرِجها معكَ. ولتَتَوالَدْ في الأرضِ وتُثمِرْ وتكثُرْ علَى الأرضِ».

فخرجَ نوحٌ وبَنوهُ وامرأتُهُ ونِساءُ بَنيهِ معهُ. وكُلُّ الحَيواناتِ، كُلُّ الدَّبّاباتِ، وكُلُّ الطُّيورِ، كُلُّ ما يَدِبُّ علَى الأرضِ، كأنواعِها خرجَتْ مِنَ الفُلكِ.

وبَنَى نوحٌ مَذبَحًا للرَّبِّ. وأخَذَ مِنْ كُلِّ البَهائمِ الطّاهِرَةِ ومِنْ كُلِّ الطُّيورِ الطّاهِرَةِ وأصعَدَ مُحرَقاتٍ علَى المَذبَحِ، فتنَسَّمَ الرَّبُّ رائحَةَ الرِّضا. وقالَ الرَّبُّ في قَلبِهِ: «لا أعودُ ألعَنُ الأرضَ أيضًا مِنْ أجلِ الإنسانِ، لأنَّ تصَوُّرَ قَلبِ الإنسانِ شِرّيرٌ منذُ حَداثَتِهِ. ولا أعودُ أيضًا أُميتُ كُلَّ حَيٍّ كما فعَلتُ.

وبارَكَ اللهُ نوحًا وبَنيهِ وقالَ لهُمْ: «أثمِروا واكثُروا واملأوا الأرضَ. ولتَكُنْ خَشيَتُكُمْ (مهابتكم) ورَهبَتُكُمْ علَى كُلِّ حَيَواناتِ الأرضِ وكُلِّ طُيورِ السماءِ، مع كُلِّ ما يَدِبُّ علَى الأرضِ، وكُلِّ أسماكِ البحرِ. قد دُفِعَتْ إلَى أيديكُمْ.

وكلَّمَ اللهُ نوحًا وبَنيهِ مَعهُ قائلًا: «وها أنا مُقيمٌ ميثاقي (عهدي) معكُمْ ومَعَ نَسلِكُمْ مِنْ بَعدِكُمْ، ومَعَ كُلِّ ذَواتِ الأنفُسِ الحَيَّةِ الّتي معكُمْ: الطيورِ والبَهائمِ وكُلِّ وُحوشِ الأرضِ الّتي معكُمْ، مِنْ جميعِ الخارِجينَ مِنَ الفُلكِ حتَّى كُلُّ حَيَوانِ الأرضِ. أُقيمُ ميثاقي معكُمْ فلا يَنقَرِضُ كُلُّ ذي جَسَدٍ أيضًا بمياهِ الطّوفانِ. ولا يكونُ أيضًا طوفانٌ ليُخرِبَ الأرضَ».

وقالَ اللهُ: «هذِهِ عَلامَةُ الميثاقِ الّذي أنا واضِعُهُ بَيني وبَينَكُمْ، وبَينَ

كُلِّ ذَواتِ الأنفُسِ الحَيَّةِ الّتي معكُمْ إلَى أجيالِ الدَّهرِ: وَضَعتُ قَوْسي (قوس قزح) في السَّحابِ فتكونُ عَلامَةَ ميثاقٍ بَيني وبَينَ الأرضِ. فمَتَى كانتِ القَوْسُ في السَّحابِ، أُبصِرُها لأذكُرَ ميثاقًا أبديًّا بَينَ اللهِ وبَينَ كُلِّ نَفسٍ حَيَّةٍ في كُلِّ جَسَدٍ علَى الأرضِ».

عادت الأرض إلى طبيعتها بعد انتهاء آثار الطوفان، وازدهر النبات والحيوان، وتكاثر بنو نوح في الأرض. ومع رجوع الحياة لطبيعتها، وارتباط الناس بالرب إلههم، بدأت التجارة تنمو والبيوت والمزارع تكثر، وأصبح الوقت ملائمًا لبداية شعب مرتبط بالله يعيش في الأرض التي يختارها له الله، وهذا هو محور الجزء الثاني من القصة.

كان أبرام (الذي غيّر الله اسمه فيما بعد إلى إبراهيم) لا يمتلك أي مؤهلات تساعده على بداية شعب يعبد الله. فلقد كانت عائلة إبراهيم تعبد الأصنام، وكانت زوجته ساراي (التي غيّر الله اسمها أيضًا فيما بعد إلى سارة) عاقرًا لا تنجب. فكيف إذًا ستلد نسلاً يكون هو شعب الله؟

لكن هذه الأمور لم تكن عائقًا أو معطلاً، إذ لا يستحيل على الرب شيء. وسترى كيف حدث هذا.

٢

الله ينشئ أُمة

وقالَ الرَّبُّ لأبرامَ: «اذهَبْ مِنْ أرضِكَ ومِنْ عَشيرَتِكَ (شعبك) ومِنْ بَيتِ أبيكَ إلَى الأرضِ الّتي أُريكَ.

فأجعَلكَ أُمَّةً عظيمَةً

وأُبارِكَكَ وأُعَظِّمَ اسمَكَ،

وتكونَ بَرَكَةً.

وأُبارِكُ مُبارِكيكَ،

ولاعِنَكَ (مَن يؤذيك) ألعَنُهُ.

وتَتَبارَكُ فيكَ جميعُ قَبائلِ الأرضِ».

فذَهَبَ أبرامُ كما قالَ لهُ الرَّبُّ وذَهَبَ معهُ لوطٌ. وكانَ أبرامُ ابنَ خَمسٍ وسَبعينَ سنَةً لَمّا خرجَ مِنْ حارانَ. فأخَذَ أبرامُ سارايَ امرأتهُ، ولوطًا ابنَ أخيهِ، وكُلَّ مُقتَنَياتِهِما الّتي اقتَنَيا والنُّفوسَ (العبيد) الّتي امتَلكا في حارانَ. وخرجوا ليَذهَبوا إلَى أرضِ كنعانَ. فأتَوْا إلَى أرضِ كنعانَ.

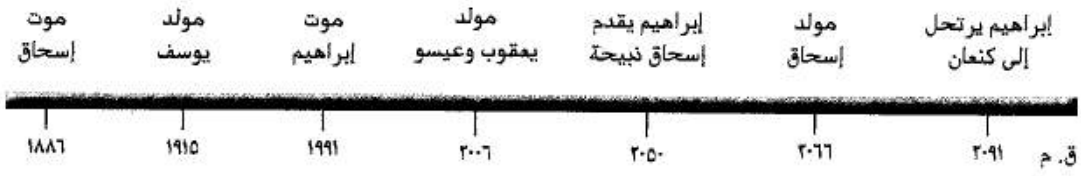

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

بالإيمانِ[١] إبراهيمُ لَمّا دُعيَ أطاعَ أنْ يَخرُجَ إلَى المَكانِ الّذي كانَ عَتيدًا (مرمًا) أنْ يأخُذَهُ ميراثًا، فخرجَ وهو لا يَعلَمُ إلَى أين يأتي.

واجتازَ (مشى) أبرامُ في الأرضِ إلَى مَكانِ شَكيمَ إلَى بَلّوطَةِ مورَةَ. وكانَ الكَنعانيّونَ حينَئِذٍ في الأرضِ. وظَهَرَ الرَّبُّ لأبرامَ وقالَ: «لنَسلِكَ أُعطي هذِهِ الأرضَ». فبَنَى هناكَ مَذبَحًا للرَّبِّ الّذي ظَهَرَ لهُ.

ولوطٌ السّائرُ (المسافر) مع أبرامَ، كانَ لهُ أيضًا غَنَمٌ وبَقَرٌ وخيامٌ. ولَمْ تحتَمِلهُما الأرضُ أنْ يَسكُنا مَعًا، إذ كانتْ أملاكُهُما كثيرَةً، فلَمْ يَقدِرا أنْ يَسكُنا مَعًا.

وقالَ الرَّبُّ لأبرامَ، بَعدَ اعتِزالِ (انفصال) لوطٍ عنهُ: «ارفَعْ عَينَيكَ وانظُرْ مِنَ المَوْضِعِ الّذي أنتَ فيهِ شِمالًا وجَنوبًا وشَرقًا وغَربًا، لأنَّ جميعَ الأرضِ الّتي أنتَ ترَى لكَ أُعطيها ولِنَسلِكَ إلَى الأبدِ. وأجعَلُ نَسلكَ كتُرابِ الأرضِ، حتَّى إذا استَطاعَ أحَدٌ أنْ يَعُدَّ تُرابَ الأرضِ فنَسلُكَ أيضًا يُعَدُّ. قُمِ امشِ في الأرضِ طولها وعَرضَها، لأنّي لكَ أُعطيها». فنَقَلَ أبرامُ خيامَهُ وأتَى وأقامَ عِندَ بَلّوطاتِ مَمرا الّتي في حَبرونَ، وبَنَى هناكَ مَذبَحًا للرَّبِّ.

بالإيمانِ تغَرَّبَ في أرضِ المَوْعِدِ كأنَّها غَريبَةٌ، ساكِنًا في خيامٍ مع إسحاقَ ويعقوبَ الوارِثَينِ معهُ لهذا المَوْعِدِ عَينِهِ. لأنَّهُ كانَ يَنتَظِرُ المدينةَ الّتي لها الأساساتُ، الّتي صانِعُها وبارِئُها (بانيها) اللهُ.

اختيار لوط للعيش في سدوم وعمورة أوقعه في مشاكل كبيرة. فبعد أن سكن في سدوم، أدرك أن قراره بالسكنى هناك لم يكن صحيحًا. وبعد عدة سنوات، قام ملكا سدوم وعمورة، ومعهما ثلاثة ملوك آخرين، بشن حرب على جيوش أعدائهم، ولكنهم خسروا هذه

---

١ الإيمان: هو الثقة الكاملة. الإيمان الحقيقي أعمق بكثير من مجرد قبول عقلي لبعض الحقائق، فهو يؤثر على رغبات قلب الإنسان.

المعركة، وهرب ملكا سدوم وعمورة، فهاجم الأعداء سدوم وعمورة واستولوا على الممتلكات وأسروا مَن وجدوهم في المدينة، ووقع لوط أيضًا أسيرًا في يد الأعداء.

وعندما علم أبرام، أخذ ٣١٨ رجلاً من رجاله الأشداء، وأسرع وهاجم جيش الأعداء، واستطاع إنقاذ لوط ابن أخيه، وتحرير باقي الأسرى. وأثناء عودته قابله كاهن اسمه ملكي صادق، فقدم له أبرام عشور الأموال التي استردها من الأعداء، وأعطى الباقي لملك سدوم.

ورغم أن أبرام كان يدرك قوة الله العظيمة، إلا أنه كان قلقًا من مرور وقت طويل قبل أن يحقق الله وعده له بأن يعطيه نسلاً ويجعله أمة عظيمة.

بَعدَ هذِهِ الأُمورِ صارَ كلامُ الرَّبِّ إلَى أبرامَ في الرّؤيا قائلًا:

«لا تخَفْ يا أبرامُ.

أنا تُرسٌ لكَ.

أجرُكَ كثيرٌ جِدًّا».

فقالَ أبرامُ: «أيُّها السَّيِّدُ[٢] الرَّبُّ، ماذا تُعطيني وأنا ماضٍ عَقيمًا (لا ينجب أولادًا)، ومالِكُ بَيتي (وريث بيتي) هو أليعازَرُ الدِّمَشقيُّ؟» وقالَ أبرامُ أيضًا: «إنَّكَ لَمْ تُعطِني نَسلًا، وهوذا ابنُ بَيتي (العبد أو الخادم الذي وُلد في بيتي) وارِثٌ لي». فإذا كلامُ الرَّبِّ إليهِ قائلًا: «لا يَرِثُكَ هذا، بل الّذي يَخرُجُ مِنْ أحشائكَ هو يَرِثُكَ». ثُمَّ أخرَجَهُ إلَى خارج وقالَ: «انظُرْ إلَى السماءِ وعُدَّ النُّجومَ إنِ استَطَعتَ أنْ تعُدَّها». وقالَ لهُ: «هكذا يكونُ نَسلُكَ». فآمَنَ بالرَّبِّ فحَسِبَهُ لهُ برًّا.

فهو (إبراهيم) علَى خِلافِ الرَّجاءِ، آمَنَ علَى الرَّجاءِ، لكَيْ يَصيرَ أبًا لأُمَمٍ كثيرَةٍ، كما قيلَ: «هكذا يكونُ نَسلُكَ». وإذ لَمْ يَكُنْ ضَعيفًا في

---

٢ السيد: كلمة تصف حقيقة أن الله لديه السيادة والسيطرة الكاملة على كل شيء.

الإيمانِ لَمْ يَعتَبِرْ جَسَدَهُ - وهو قد صارَ مُماتًا (أصبح غير قادر على الإنجاب)، إذ كانَ ابنَ نَحوِ مِئَةِ سنَةٍ - ولا مُماتيَّةَ (موت) مُستَوْدَعِ (رحم) سارَةَ. ولا بعَدَم إيمانٍ ارتابَ في وعدِ اللهِ، بل تقَوَّى بالإيمانِ مُعطيًا مَجدًا للهِ. وتَيقَّنَ أنَّ ما وعَدَ بهِ هو قادِرٌ أنْ يَفعَلَهُ أيضًا. لذلكَ أيضًا: «حُسِبَ لهُ برًّا».

لقد آمن إبراهيم أن الوعد بالنسل سيأتي من ابنه، ولكنه لم يكن متأكدًا أن هذا الابن سيولد من امرأته ساراي. لذلك وافق أن يتزوج من هاجر جارية امرأته لينجب منها ابن الموعد. وبالفعل تزوج أبرام من هاجر، ولما صارت حبلى احتقرت سيدتها ساراي مما جعل ساراي تقسو عليها. فهربت هاجر في البرية وكانت يائسة لا تدري إلى أين تذهب.

فقالَ لها مَلاكُ الرَّبِّ: «ارجِعي إلَى مَوْلاتِكِ واخضَعي تحتَ يَدَيها». وقالَ لها مَلاكُ الرَّبِّ: «تكثيرًا أُكثِّرُ نَسلكِ فلا يُعَدُّ مِنَ الكَثرَةِ». وقالَ لها مَلاكُ الرَّبِّ:

«ها أنتِ حُبلَى، فتلِدينَ ابنًا وتَدعينَ اسمَهُ إسماعيلَ،
لأنَّ الرَّبَّ قد سمِعَ لمَذَلَّتِكِ.
وإنَّهُ يكونُ إنسانًا وحشيًّا،
يَدُهُ علَى (يقاتل) كُلِّ واحِدٍ،
ويَدُ كُلِّ واحِدٍ علَيهِ،
وأمامَ جميعِ إخوَتِهِ يَسكُنُ (يعيش منعزلاً)».

فدَعَتِ اسمَ الرَّبِّ الّذي تكلَّمَ معها: «أنتَ إيلُ رُئي (إله يرى)». لأنَّها قالَتْ: «أههنا أيضًا رأيتُ بَعدَ رؤيَةٍ؟». لذلكَ دُعيَتِ البِئرُ «بئرَ لَحَيْ رُئي (الحيّ الذي رآني)». ها هي بَينَ قادِشَ وبارَدَ.

فوَلَدَتْ هاجَرُ لأبرامَ ابنًا. ودَعا أبرامُ اسمَ ابنِهِ الّذي ولَدَتهُ هاجَرُ

«إسماعيلَ». كانَ أبرامُ ابنَ سِتٍّ وثَمانينَ سنَةً لَمّا ولَدَتْ هاجَرُ إسماعيلَ لأبرامَ.

ولَمّا كانَ أبرامُ ابنَ تِسعٍ وتِسعينَ سنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأبرامَ وقالَ لهُ: «أنا اللهُ القديرُ. سِرْ أمامي وكُنْ كامِلًا، فأجعَلَ عَهدي بَيني وبَينَكَ، وأُكثِّرَكَ كثيرًا جِدًّا».

فسقَطَ أبرامُ علَى وجهِهِ. وتَكلَّمَ اللهُ معهُ قائلًا: «أمّا أنا فهوذا عَهدي معكَ، وتَكونُ أبًا لجُمهورٍ مِنَ الأمَمِ، فلا يُدعَى اسمُكَ بَعدُ أبرامَ بل يكونُ اسمُكَ إبراهيمَ، لأنّي أجعَلُكَ أبًا لجُمهورٍ مِنَ الأُمَمِ. وأُثمِرُكَ كثيرًا جِدًّا، وأجعَلُكَ أُمَمًا، ومُلوكٌ مِنكَ يَخرُجونَ. وأُقيمُ عَهدي بَيني وبَينَكَ، وبَينَ نَسلِكَ مِنْ بَعدِكَ في أجيالِهِمْ، عَهدًا أبديًّا، لأكونَ إلهًا لكَ ولِنَسلِكَ مِنْ بَعدِكَ. وأُعطي لكَ ولِنَسلِكَ مِنْ بَعدِكَ أرضَ غُربَتِكَ، كُلَّ أرضِ كنعانَ مُلكًا أبديًّا. وأكونُ إلهَهُمْ».

وقالَ اللهُ لإبراهيمَ: «وأمّا أنتَ فتحفَظُ عَهدي، أنتَ ونَسلُكَ مِنْ بَعدِكَ في أجيالِهِمْ. هذا هو عَهدي الّذي تحفَظونَهُ بَيني وبَينَكُمْ، وبَينَ نَسلِكَ مِنْ بَعدِكَ: يُختَنُ[٣] مِنكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فتُختَنونَ في لَحمِ غُرلَتِكُمْ (الغرلة هي جلدة الصبي التي تقطع في الختان)، فيكونُ عَلامَةَ عَهدٍ بَيني وبَينَكُمْ.

وأمّا الذَّكَرُ الأغلَفُ (غير مختون) الّذي لا يُختَنُ في لَحمِ غُرلَتِهِ فتُقطَعُ تِلكَ النَّفسُ مِنْ شَعبِها. إنَّهُ قد نَكَثَ (نقض) عَهدي».

وقالَ اللهُ لإبراهيمَ: «سارايُ امرأتُكَ لا تدعو اسمَها سارايَ، بل اسمُها سارَةُ. وأُبارِكُها وأُعطيكَ أيضًا مِنها ابنًا. أُبارِكُها فتكونُ أُمَمًا، ومُلوكُ شُعوبٍ مِنها يكونونَ».

---

٣ يختن: الختان هو عملية الطهارة عند الذكور، وتتم في اليوم الثامن لولادة الطفل. ويشير هذا الإجراء الطقسي في العهد القديم إلى دخول الطفل وانتمائه إلى شعب الله. وقد استخدم هذا التعبير بعد ذلك في الكتاب المقدس استخدامًا مجازيًا وروحيًا للإشارة إلى تعهد الإنسان بالخضوع الكامل لوصايا الله.

وافتَقَدَ الرَّبُّ سارَةَ (أنعم عليها) كما قالَ، وفَعَلَ الرَّبُّ لسارَةَ كما تكلَّمَ. فحَبِلَتْ سارَةُ وولَدَتْ لإبراهيمَ ابنًا في شَيخوخَتِهِ، في الوقتِ الّذي تكلَّمَ اللهُ عنهُ.

بالإيمانِ سارَةُ نَفسُها أيضًا أخَذَتْ قُدرَةً علَى إنشاءِ نَسلٍ، وبَعدَ وقتِ السِّنِّ ولَدَتْ، إذ حَسِبَتِ الّذي وعَدَ صادِقًا. لذلكَ وُلِدَ أيضًا مِنْ واحِدٍ، وذلكَ مِنْ مُماتٍ، مِثلُ نُجومِ السماءِ في الكَثرَةِ، وكالرَّملِ الّذي علَى شاطِئِ البحرِ الّذي لا يُعَدُّ.

ودَعا إبراهيمُ اسمَ ابنِهِ المَوْلودِ لهُ، الّذي ولَدَتهُ لهُ سارَةُ «إسحاقَ[٤]». وخَتَنَ إبراهيمُ إسحاقَ ابنَهُ وهو ابنُ ثَمانيَةِ أيّامٍ كما أمَرَهُ اللهُ. وكانَ إبراهيمُ ابنَ مِئَةِ سنَةٍ حينَ وُلِدَ لهُ إسحاقُ ابنُهُ. وقالَتْ سارَةُ: «قد صَنَعَ إلَيَّ اللهُ ضِحكًا. كُلُّ مَنْ يَسمَعُ يَضحَكُ لي». وقالَتْ: «مَنْ قالَ لإبراهيمَ: سارَةُ تُرضِعُ بَنينَ؟ حتَّى ولَدتُ ابنًا في شَيخوخَتِهِ!».

لقد أعطى الله لإبراهيم إسحاق ابن الموعد، لكن بعد أن كان له ابن آخر من هاجر اسمه إسماعيل. ترى ما الذي سيحدث لهما؟

فكبِرَ الوَلَدُ وفُطِمَ. وصَنَعَ إبراهيمُ وليمَةً عظيمَةً يومَ فِطامِ إسحاقَ. ورأتْ سارَةُ ابنَ هاجَرَ المِصريَّةِ الّذي ولَدَتهُ لإبراهيمَ يَمزَحُ (يسخر)، فقالَتْ لإبراهيمَ: «اطرُدْ هذِهِ الجاريَةَ وابنَها، لأنَّ ابنَ هذِهِ الجاريَةِ لا يَرِثُ مع ابني إسحاقَ». فقَبُحَ الكلامُ جِدًّا في عَينَيْ إبراهيمَ لسَبَبِ ابنِهِ. فقالَ اللهُ لإبراهيمَ: «لا يَقبُحُ في عَينَيكَ مِنْ أجلِ الغُلامِ ومِنْ أجلِ جاريَتِكَ. في كُلِّ ما تقولُ لكَ سارَةُ اسمَعْ لقَوْلِها، لأنَّهُ بإسحاقَ يُدعَى لكَ نَسلٌ. وابنُ الجاريَةِ أيضًا سأجعَلُهُ أُمَّةً لأنَّهُ نَسلُكَ».

---

٤ إسحاق: معناه "يضحك".

فبَكَّرَ إبراهيمُ صباحًا وأخَذَ خُبزًا وقِربَةَ ماءٍ وأعطاهُما لهاجَرَ، واضِعًا إيّاهُما علَى كتِفِها، والوَلَدَ، وصَرَفَها. فمَضَتْ وتاهَتْ في بَرّيَّةِ بئرِ سبعٍ.

ولَمّا فرَغَ الماءُ مِنَ القِربَةِ طَرَحَتِ الوَلَدَ تحتَ إحدَى الأشجارِ، ومَضَتْ وجَلَسَتْ مُقابِلهُ بَعيدًا نَحوَ رَميَةِ قَوْسٍ، لأنَّها قالَتْ: «لا أنظُرُ موتَ الوَلَدِ». فجَلَسَتْ مُقابِلهُ ورَفَعَتْ صوتَها وبَكَتْ.

فسمِعَ اللهُ صوتَ الغُلامِ، ونادَى مَلاكُ اللهِ هاجَرَ مِنَ السماءِ وقالَ لها: «ما لكِ يا هاجَرُ؟ لا تخافي، لأنَّ اللهَ قد سمِعَ لصوتِ الغُلامِ حَيثُ هو. قومي احمِلي الغُلامَ وشُدّي يَدَكِ بِهِ، لأنّي سأجعَلُهُ أُمَّةً عظيمَةً».

وفَتَحَ اللهُ عَينَيها فأبصَرَتْ بئرَ ماءٍ، فذَهَبَتْ ومَلأتِ القِربَةَ ماءً وسَقَتِ الغُلامَ. وكانَ اللهُ مع الغُلامِ فكبِرَ، وسَكَنَ في البَرّيَّةِ، وكانَ يَنمو راميَ قَوْسٍ.

وحَدَثَ بَعدَ هذِهِ الأُمورِ أنَّ اللهَ امتَحَنَ إبراهيمَ، فقالَ لهُ: «يا إبراهيمُ!».

فقالَ: «هأنَذا».

فقالَ: «خُذِ ابنَكَ وحيدَكَ، الّذي تُحِبُّهُ، إسحاقَ، واذهَبْ إلَى أرضِ المُريّا، وأصعِدهُ هناكَ مُحرَقَةً (ذبيحة) علَى أحَدِ الجِبالِ الّذي أقولُ لكَ».

فبَكَّرَ إبراهيمُ صباحًا وشَدَّ علَى حِمارِهِ، وأخَذَ اثنَينِ مِنْ غِلمانِهِ معهُ، وإسحاقَ ابنَهُ، وشَقَّقَ حَطَبًا لمُحرَقَةٍ، وقامَ وذَهَبَ إلَى المَوْضِعِ الّذي قالَ لهُ اللهُ. وفي اليومِ الثّالِثِ رَفَعَ إبراهيمُ عَينَيهِ وأبصَرَ المَوْضِعَ مِنْ بَعيدٍ، فقالَ إبراهيمُ لغُلامَيهِ: «اجلِسا أنتُما ههنا مع الحِمارِ، وأمّا أنا والغُلامُ فنَذهَبُ إلَى هناكَ ونَسجُدُ، ثُمَّ نَرجِعُ إلَيكُما».

فأخَذَ إبراهيمُ حَطَبَ المُحرَقَةِ ووضَعَهُ علَى إسحاقَ ابنِهِ، وأخَذَ

بيَدِهِ النّارَ والسِّكّينَ. فذَهَبا كِلاهُما مَعًا. وكلَّمَ إسحاقُ إبراهيمَ أباهُ وقالَ: «يا أبي!». فقالَ: «هأنَذا. يا ابني». فقالَ: «هوذا النّارُ والحَطَبُ، ولكن أين الخَروفُ للمُحرَقَةِ؟». فقالَ إبراهيمُ: «اللهُ يَرَى لهُ الخَروفَ للمُحرَقَةِ يا ابني». فذَهَبا كِلاهُما مَعًا.

فلَمّا أتَيا إلَى المَوْضِعِ الّذي قالَ لهُ اللهُ، بَنَى هناكَ إبراهيمُ المَذبَحَ ورَتَّبَ الحَطَبَ ورَبَطَ إسحاقَ ابنَهُ ووضَعَهُ علَى المَذبَحِ فوقَ الحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ إبراهيمُ يَدَهُ وأخَذَ السِّكّينَ ليَذبَحَ ابنَهُ. فناداهُ مَلاكُ الرَّبِّ مِنَ السماءِ وقالَ: «إبراهيمُ! إبراهيمُ!». فقالَ: «هأنَذا». فقالَ: «لا تمُدَّ يَدَكَ إلَى الغُلامِ ولا تفعَلْ بهِ شَيئًا، لأنّي الآنَ عَلِمتُ أنَّكَ خائفٌ اللهَ، فلَمْ تُمسِكِ (تمنع) ابنَكَ وحيدَكَ عَنّي». فرَفَعَ إبراهيمُ عَينَيهِ ونَظَرَ وإذا كبشٌ وراءَهُ مُمسَكًا في الغابَةِ بقَرنَيهِ، فذَهَبَ إبراهيمُ وأخَذَ الكَبشَ وأصعَدَهُ مُحرَقَةً عِوَضًا عن ابنِهِ.

بالإيمانِ قَدَّمَ إبراهيمُ إسحاقَ وهو مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الّذي قَبِلَ المَواعيدَ، وحيدَهُ الّذي قيلَ لهُ: «إنَّهُ بإسحاقَ يُدعَى لكَ نَسلٌ». إذ حَسِبَ أنَّ اللهَ قادِرٌ علَى الإقامَةِ مِنَ الأمواتِ أيضًا، الّذينَ مِنهُمْ أخَذَهُ أيضًا في مِثالٍ.

فدَعا إبراهيمُ اسمَ ذلكَ المَوْضِعِ «يَهوَهْ يِرأهْ». حتَّى إنَّهُ يُقالُ اليومَ: «في جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى».

ونادَى مَلاكُ الرَّبِّ إبراهيمَ ثانيَةً مِنَ السماءِ وقالَ: «بذاتي أقسَمتُ، يقولُ الرَّبُّ، أنّي مِنْ أجلِ أنَّكَ فعَلتَ هذا الأمرَ، ولَمْ تُمسِكِ ابنَكَ وحيدَكَ، أُبارِكُكَ مُبارَكَةً، وأُكَثِّرُ نَسلكَ تكثيرًا كنُجومِ السماءِ وكالرَّملِ الّذي علَى شاطِئِ البحرِ، ويَرِثُ نَسلُكَ بابَ أعدائِهِ، ويَتَبارَكُ في نَسلِكَ جميعُ أُمَمِ الأرضِ، مِنْ أجلِ أنَّكَ سمِعتَ لقَوْلي».

بعد هذه الأمور ماتت سارة زوجة إبراهيم، فاشترى إبراهيم مقبرة في حقل ودفنها. والتساؤل الذي يتبادر: ماذا عن إبراهيم وإسحاق والوعد الإلهي؟

إبراهيم تزوج من امرأة اسمها قطورة، وأنجب منها بنين. ولكن كل ثروته كانت لابن الموعد إسحاق. وعندما شاخ إبراهيم أرسل عبده إلى شعبه وعائلته ليحضر من هناك زوجة لإسحاق ابنه، فرجع العبد ومعه رفقة فتزوجها إسحاق وأحبها جدًا.

ومات إبراهيم وعمره ١٧٥ عامًا، ودُفن في نفس المقبرة التي دُفنت فيها سارة.

وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها لم تنجب أطفالاً لمدة ٢٠ سنة، فاستجاب له الرب وأنجبت رفقة ولدين توأم، هما عيسو ويعقوب.

فكبِرَ الغُلامانِ، وكانَ عيسو إنسانًا يَعرِفُ الصَّيدَ، إنسانَ البَرّيَّةِ، ويعقوبُ إنسانًا كامِلاً يَسكُنُ الخيامَ. فأحَبَّ إسحاقُ عيسوَ لأنَّ في فمِهِ صَيدًا، وأمّا رِفقَةُ فكانتْ تُحِبُّ يعقوبَ. وطَبَخَ يعقوبُ طَبيخًا، فأتَى عيسو مِنَ الحَقلِ وهو قد أعيا. فقالَ عيسو ليعقوبَ: «أطعِمني مِنْ هذا الأحمَرِ لأنّي قد أعيَيتُ». لذلكَ دُعيَ اسمُهُ «أدومَ». فقالَ يعقوبُ: «بعني اليومَ بَكوريَّتكَ». فقالَ عيسو: «ها أنا ماضٍ إلَى الموتِ، فلماذا لي بَكوريَّةٌ؟» فقالَ يعقوبُ: «احلِفْ ليَ اليومَ». فحَلَفَ لهُ، فباعَ بَكوريَّتهُ ليعقوبَ. فأعطَى يعقوبُ عيسوَ خُبزًا وطَبيخَ عَدَسٍ، فأكلَ وشَرِبَ وقامَ ومَضَى. فاحتَقَرَ عيسو البَكوريَّةَ.

وحَدَثَ لَمّا شاخَ إسحاقُ وكلَّتْ عَيناهُ عن النَّظَرِ، أنَّهُ دَعا عيسوَ ابنَهُ الأكبَرَ وقالَ لهُ: «خُذْ عُدَّتَكَ وتَصَيَّدْ لي صَيدًا، واصنَعْ لي أطعِمَةً كما أُحِبُّ، وأتِني بها لآكُلَ حتَّى تُبارِكَكَ نَفسي قَبلَ أنْ أموتَ».

وكانتْ رِفقَةُ سامِعَةً فكلمتْ يعقوبَ ابنِها قائلةً: «اِذهَبْ إلَى الغَنَمِ

وخُذْ لي مِنْ هناكَ جَديَينِ جَيِّدَينِ مِنَ المِعزَى، فأصنَعُهُما أطعِمَةً لأبيكَ كما يُحِبُّ. وأخَذَتْ رِفقَةُ ثيابَ عيسو ابنِها الأكبَرِ الفاخِرَةَ الّتي كانتْ عِندَها في البَيتِ وألبَسَتْ يعقوبَ ابنَها الأصغَرَ، وألبَسَتْ يَدَيهِ ومَلاسَةَ عُنُقِهِ جُلودَ جَديَي المِعزَى. وأعطَتِ الأطعِمَةَ والخُبزَ الّتي صَنَعَتْ في يَدِ يعقوبَ ابنِها.

فدَخَلَ إلَى أبيهِ وقالَ: «أنا عيسو بكرُكَ. قد فعَلتُ كما كلَّمتَني. قُمِ اجلِسْ وكُلْ مِنْ صَيدي لكَيْ تُبارِكَني نَفسُكَ». فقالَ إسحاقُ ليعقوبَ: «تقَدَّمْ لأجُسَّكَ يا ابني. أأنتَ هو ابني عيسو أم لا؟». فتقَدَّمَ يعقوبُ إلَى إسحاقَ أبيهِ، فجَسَّهُ وقالَ: «الصَّوْتُ صوتُ يعقوبَ، ولكن اليَدَينِ يَدا عيسو». ولَمْ يَعرِفهُ لأنَّ يَدَيهِ كانتا مُشعِرَتَينِ كيَدَيْ عيسو أخيهِ، فبارَكَهُ. وقالَ: «هل أنتَ هو ابني عيسو؟». فقالَ: «أنا هو». فقالَ: «قَدِّمْ لي لآكُلَ مِنْ صَيدِ ابني حتَّى تُبارِكَكَ نَفسي». فقَدَّمَ لهُ فأكلَ، وأحضَرَ لهُ خمرًا فشَرِبَ. فقالَ لهُ إسحاقُ أبوهُ: «تقَدَّمْ وقَبِّلني يا ابني». فتقَدَّمَ وقَبَّلَهُ، فشَمَّ رائحَةَ ثيابِهِ وبارَكَهُ.

وحَدَثَ عندما فرَغَ إسحاقُ مِنْ بَرَكَةِ يعقوبَ، ويعقوبُ قد خرجَ مِنْ لَدُنْ إسحاقَ أبيهِ، أنَّ عيسوَ أخاهُ أتَى مِنْ صَيدِهِ، فصَنَعَ هو أيضًا أطعِمَةً ودَخَلَ بها إلَى أبيهِ. فقالَ لهُ إسحاقُ أبوهُ: «مَنْ أنتَ؟» فقالَ: «أنا ابنُكَ بكرُكَ عيسو»! فارتَعَدَ إسحاقُ ارتِعادًا عظيمًا جِدًّا وقالَ: «فمَنْ هو الّذي اصطادَ صَيدًا وأتَى بهِ إلَيَّ فأكلتُ مِنَ الكُلِّ قَبلَ أنْ تجيءَ، وبارَكتُهُ؟ نَعَمْ، ويكونُ مُبارَكًا». فعندما سمِعَ عيسو كلامَ أبيهِ صَرَخَ صَرخَةً عظيمَةً ومُرَّةً جِدًّا، وقالَ لأبيهِ: «أخَذَ بَكوريَّتي، وهوذا الآنَ قد أخَذَ بَرَكَتي».

فحَقَدَ عيسو علَى يعقوبَ مِنْ أجلِ البَرَكَةِ الّتي بارَكَهُ بها أبوهُ. وقالَ

عيسو في قَلبِهِ: «قَرُبَتْ أيّامُ مَناحَةِ أبي، فأقتُلُ يعقوبَ أخي». فأُخبِرَتْ رِفقَةُ بكلامِ عيسوَ ابنِها الأكبَرِ، فأرسَلَتْ ودَعَتْ يعقوبَ ابنَها الأصغَرَ وقالَتْ لهُ: «هوذا عيسو أخوكَ مُتَسَلٍّ (أي يفكر) مِنْ جِهَتِكَ بأنَّهُ يَقتُلُكَ. فالآنَ يا ابني اسمَعْ لقَوْلي، وقُمِ اهرُبْ إلَى أخي لابانَ إلَى حارانَ، وأقِمْ عِندَهُ أيّامًا قَليلَةً حتَّى يَرتَدَّ سُخطُ أخيكَ.

فذهب يعقوب إلى بيت خاله، وهناك رأى راحيل ابنة خاله وأحبها، ورضي أن يعمل أجيرًا عند خاله سنيناً طويلة، حتى تصبح راحيل زوجة له. ولكن خاله خدعه وزوجه أولاً أختها الكبرى ليئة، ثم زوجه راحيل بعد ذلك، ولمدة ٢٠ سنة ظل يعقوب يعمل عند خاله، بعدها قرر أن يعود هو وعائلته وكل أملاكه إلى موطنه الأصلي، وكان عليه أن يتقابل مع عيسو مرة أخرى. ولأن يعقوب لا يعرف إذا كان عيسو سيقابله كصديق أم كعدو كان حريصًا وهو يقترب.

وأرسَلَ يعقوبُ رُسُلاً قُدّامَهُ إلَى عيسوَ أخيهِ إلَى أرضِ سعيرَ بلادِ أدومَ، وأمَرَهُمْ قائلاً: «هكذا تقولونَ لسَيِّدي عيسوَ: هكذا قالَ عَبدُكَ يعقوبُ: تغَرَّبتُ عِندَ لابانَ ولَبِثتُ إلَى الآنَ. وقَدْ صارَ لي بَقَرٌ وحَميرٌ وغَنَمٌ وعَبيدٌ وإماءٌ. وأرسَلتُ لأُخبِرَ سيِّدي لكَيْ أجِدَ نِعمَةً في عَينَيكَ».

فرَجَعَ الرُّسُلُ إلَى يعقوبَ قائلينَ: «أتَينا إلَى أخيكَ، إلَى عيسو، وهو أيضًا قادِمٌ لِلِقائكَ، وأربَعُ مِئَةِ رَجُلٍ معهُ». فخافَ يعقوبُ جِدًّا وضاقَ بهِ الأمرُ، فقَسَمَ القَوْمَ الّذينَ معهُ والغَنَمَ والبَقَرَ والجِمالَ إلَى جَيشَينِ. وقالَ: «إنْ جاءَ عيسو إلَى الجَيشِ الواحِدِ وضَرَبَهُ، يكونُ الجَيشُ الباقي ناجيًا».

وقالَ يعقوبُ: «يا إلهَ أبي إبراهيمَ وإلهَ أبي إسحاقَ، الرَّبَّ الّذي قالَ

ليَ: ارجِعْ إلَى أرضِكَ وإلَى عَشيرَتِكَ فأُحسِنَ إلَيكَ. صَغيرٌ أنا عن جميعِ ألطافِكَ وجميعِ الأمانَةِ الّتي صَنَعتَ إلَى عَبدِكَ. فإنّي بعَصايَ عَبَرتُ هذا الأُردُنَّ، والآنَ قد صِرتُ جَيشَين. نَجِّني مِنْ يَدِ أخي، مِنْ يَدِ عيسوَ، لأنّي خائفٌ مِنهُ أنْ يأتيَ ويَضرِبَني الأُمَّ مع البَنينَ. وأنتَ قد قُلتَ: إنّي أُحسِنُ إلَيكَ وأجعَلُ نَسلكَ كرَملِ البحرِ الّذي لا يُعَدُّ للكَثرَةِ».

وباتَ هناكَ تِلكَ اللَّيلَةَ وأخَذَ مِمّا أتَى بيَدِهِ هَديَّةً لعيسو أخيهِ: مِئَتَيْ عنزٍ وعِشرينَ تيسًا، مِئَتَيْ نَعجَةٍ وعِشرينَ كبشًا، ثَلاثينَ ناقَةً مُرضِعَةً وأولادَها، أربَعينَ بَقَرَةً وعَشرَةَ ثيرانٍ، عِشرينَ أتانًا وعَشرَةَ حَميرٍ، ودَفَعَها إلَى يَدِ عَبيدِهِ قَطيعًا قَطيعًا علَى حِدَةٍ. وقالَ لعَبيدِهِ: «اجتازوا قُدّامي واجعَلوا فُسحَةً بَينَ قَطيعٍ وقَطيعٍ».

وأمَرَ الأوَّلَ قائلًا: «إذا صادَفَكَ عيسو أخي وسألكَ قائلًا: لمَنْ أنتَ؟ وإلَى أين تذهَبُ؟ ولِمَنْ هذا الّذي قُدّامَكَ؟ تقولُ: لعَبدِكَ يعقوبَ. هو هَديَّةٌ مُرسَلَةٌ لسَيِّدي عيسوَ، وها هو أيضًا وراءَنا».

وأمَرَ أيضًا الثانِيَ والثّالِثَ وجميعَ السّائرينَ وراءَ القُطعانِ قائلًا: «بمِثلِ هذا الكلامِ تُكلِّمونَ عيسوَ حينَما تجِدونَهُ، وتَقولونَ: هوذا عَبدُكَ يعقوبُ أيضًا وراءَنا». لأنَّهُ قالَ: «أستَعطِفُ وجهَهُ بالهَديَّةِ السّائرَةِ أمامي، وبَعدَ ذلكَ أنظُرُ وجهَهُ، عَسَى أنْ يَرفَعَ وجهي (يستقبلني بسرور)». فاجتازَتِ الهَديَّةُ قُدّامَهُ، وأمّا هو فباتَ تِلكَ اللَّيلَةَ في المَحَلَّةِ.

ثُمَّ قامَ في تِلكَ اللَّيلَةِ وأخَذَ امرأتَيهِ وجاريَتَيهِ وأولادَهُ الأحَدَ عشَرَ وعَبَرَ مَخاضَةَ (مكان في النهر يمكن عبوره سيرًا على الأقدام) يَبّوقَ. أخَذَهُمْ وأجازَهُمُ (عبر بهم) الواديَ، وأجازَ ما كانَ لهُ. فبَقيَ يعقوبُ وحدَهُ، وصارَعَهُ إنسانٌ حتَّى طُلوعِ الفَجرِ. ولَمّا رأى أنَّهُ لا يَقدِرُ علَيهِ، ضَرَبَ حُقَّ فخذِهِ، فانخَلَعَ حُقُّ فخذِ يعقوبَ في مُصارَعَتِهِ معهُ. وقالَ:

«أطلِقني، لأنَّهُ قد طَلَعَ الفَجرُ».

فقالَ: «لا أُطلِقُكَ إنْ لَمْ تُبارِكني».

فقالَ لهُ: «ما اسمُكَ؟».

فقالَ: «يعقوبُ».

فقالَ: «لا يُدعَى اسمُكَ في ما بَعدُ يعقوبَ بل إسرائيلَ، لأنَّكَ جاهَدتَ مع اللهِ والنّاسِ وقَدَرتَ».

وسألَ يعقوبُ وقالَ: «أخبِرني باسمِكَ».

فقالَ: «لماذا تسألُ عن اسمي؟». وبارَكَهُ هناكَ.

فدَعا يعقوبُ اسمَ المَكانِ «فنيئيلَ» قائلًا: «لأنّي نَظَرتُ اللهَ وجهًا لوَجهٍ، ونُجّيَتْ نَفسي».

ورَفَعَ يعقوبُ عَينَيهِ ونَظَرَ وإذا عيسو مُقبِلٌ ومَعَهُ أربَعُ مِئَةِ رَجُلٍ، فقَسَمَ الأولادَ علَى لَيئَةَ وعلَى راحيلَ وعلَى الجاريَتَينِ. ووضَعَ الجاريَتَينِ وأولادَهُما أوَّلًا، ولَيئَةَ وأولادَها وراءَهُمْ، وراحيلَ ويوسُفَ أخيرًا. وأمّا هو فاجتازَ قُدّامَهُمْ وسَجَدَ إلَى الأرضِ سبعَ مَرّاتٍ حتَّى اقتَرَبَ إلَى أخيهِ. فرَكَضَ عيسو للِقائهِ وعانَقَهُ ووقَعَ علَى عُنُقِهِ وقَبَّلَهُ، وبَكَيا.

ثُمَّ رَفَعَ عَينَيهِ وأبصَرَ النِّساءَ والأولادَ وقالَ: «ما هؤُلاءِ مِنكَ؟» (ها هدى قرابتهم لك؟) فقالَ: «الأولادُ الّذينَ أنعَمَ اللهُ بِهِمْ علَى عَبدِكَ». فاقتَرَبَتِ الجاريَتانِ هُما وأولادُهُما وسَجَدَتا. ثُمَّ اقتَرَبَتْ لَيئَةُ أيضًا وأولادُها وسَجَدوا. وبَعدَ ذلكَ اقتَرَبَ يوسُفُ وراحيلُ وسَجَدا. فقالَ: «ماذا مِنكَ كُلُّ هذا الجَيشِ (ما هو قصدك من كل هذا) الّذي صادَفتُهُ؟» فقالَ: «لأجِدَ نِعمَةً في عَينَيْ سيِّدي». فقالَ عيسو: «لي كثيرٌ، يا أخي. ليَكُنْ لكَ الّذي لكَ». فقالَ يعقوبُ: «لا. إنْ وجَدتُ نِعمَةً في عَينَيكَ تأخُذْ هَديَّتي مِنْ يَدي، لأنّي رأيتُ وجهَكَ كما يُرَى وجهُ اللهِ، فرَضيتَ عليَّ.

خُذْ بَرَكَتي الّتي أُتيَ بها إلَيكَ، لأنَّ اللهَ قد أنعَمَ علَيَّ ولي كُلُّ شَيءٍ». وألَحَّ علَيهِ فأخَذَ.

ثُمَّ قالَ اللهُ ليعقوبَ: «قُمِ اصعَدْ إلَى بَيتِ إيلَ وأقِمْ هناكَ، واصنَعْ هناكَ مَذبَحًا للهِ الّذي ظَهَرَ لكَ حينَ هَرَبتَ مِنْ وجهِ عيسو أخيكَ». فقالَ يعقوبُ لبَيتِهِ ولِكُلِّ مَنْ كانَ معهُ: «اعزِلوا الآلِهَةَ الغَريبَةَ الّتي بَينَكُمْ وتَطَهَّروا وأبدِلوا ثيابَكُمْ. ولنَقُمْ ونَصعَدْ إلَى بَيتِ إيلَ، فأصنَعَ هناكَ مَذبَحًا للهِ الّذي استَجابَ لي في يوم ضيقَتي، وكانَ مَعي في الطريقِ الّذي ذَهَبتُ فيهِ». فأعطَوْا يعقوبَ كلَّ الآلِهَةِ الغَريبةِ الّتي في أيديهِمْ والأقراطِ الّتي في آذانِهِمْ، فطَمَرَها يعقوبُ تحتَ البُطمَةِ الّتي عِندَ شَكيمَ.

ثُمَّ رَحَلوا، وكانَ خَوْفُ اللهِ علَى المُدُنِ الّتي حَوْلهُمْ، فلَمْ يَسعَوْا وراءَ بَني يعقوبَ. فأتَى يعقوبُ إلَى لوزَ الّتي في أرضِ كنعانَ، وهي بَيتُ إيلَ. هو وجميعُ القَوْمِ الّذينَ معهُ. وبَنَى هناكَ مَذبَحًا، ودَعا المَكانَ «إيلَ بَيتِ إيلَ» لأنَّهُ هناكَ ظَهَرَ لهُ اللهُ حينَ هَرَبَ مِنْ وجهِ أخيهِ.

وظَهَرَ اللهُ ليعقوبَ أيضًا حينَ جاءَ مِنْ فدّانِ أرامَ وبارَكَهُ. وقالَ لهُ اللهُ: «اسمُكَ يعقوبُ. لا يُدعَى اسمُكَ فيما بَعدُ يعقوبَ، بل يكونُ اسمُكَ إسرائيلَ». فدَعا اسمَهُ «إسرائيلَ». وقالَ لهُ اللهُ: «أنا اللهُ القديرُ. أثمِرْ واكثُرْ. أُمَّةٌ وجَماعَةُ أُمَمٍ تكونُ مِنكَ، ومُلوكٌ سيَخرُجونَ مِنْ صُلبِكَ. والأرضُ الّتي أعطَيتُ إبراهيمَ وإسحاقَ، لكَ أُعطيها، ولِنَسلِكَ مِنْ بَعدِكَ أُعطي الأرضَ».

ثُمَّ رَحَلوا مِنْ بَيتِ إيلَ. ولَمّا كانَ مَسافَةٌ مِنَ الأرضِ بَعدُ حتَّى يأتوا إلَى أفراتَةَ، ولَدَتْ راحيلُ وتَعَسَّرَتْ وِلادَتُها. وحَدَثَ حينَ تعسَّرَتْ وِلادَتُها أنَّ القابِلَةَ قالَتِ لها: «لا تخافي، لأنَّ هذا أيضًا ابنٌ لكِ».

وكانَ عِندَ خُروجِ نَفسِها، لأنَّها ماتَتْ، أنَّها دَعَتِ اسمَهُ «بَنْ أوني». وأمّا أبوهُ فدَعاهُ «بَنيامينَ». فماتَتْ راحيلُ ودُفِنَتْ في طريقِ أفراتةَ، الّتي هي بَيتُ لَحمٍ.

وجاءَ يعقوبُ إلَى إسحاقَ أبيهِ إلَى مَمرا، قِريَةِ أربَعَ، الّتي هي حَبرونُ، حَيثُ تغَرَّبَ إبراهيمُ وإسحاقُ. وكانتْ أيامُ إسحاقَ مِئَةً وثَمانينَ سنَةً. فأسلَمَ إسحاقُ روحَهُ وماتَ وانضَمَّ إلَى قَوْمِهِ، شَيخًا وشَبعانَ أيامًا. ودَفَنَهُ عيسو ويعقوبُ ابناهُ.

انتقل وعد الله بالبركة والنسل من يعقوب إلى ابنه يوسف. وبالرغم من أن يعقوب كان لديه ١٢ ابنًا، لكنه أحب يوسف أكثر من إخوته، مما جعلهم يبغضونه وخاصة عندما صنع له يعقوب قميصًا ملونًا. وازداد الأمر سوءًا عندما أخبر يوسف إخوته مرتين بأنه يراهم في أحلامه وهم يسجدون له، فاغتاظوا منه وتآمروا عليه. وبالتأكيد كان يومًا قاسيًا على يوسف وهو مازال ١٧ عامًا.

يعقوب

هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان أرام.

ابنا راحيل:
يوسف وبنيامين.

ابنا ليئة:
يساكر وزبولون.

وابنا زلفة جارية ليئة:
جاد وأشير.

ابنا بلهة جارية راحيل:
دان ونفتالي.

بنو ليئة:
وشمعون ولاوي ويهوذا.
رأوبين بكر يعقوب.

٣

عبد أصبح نائبًا لفرعون

ومَضَى إخوَتُهُ ليَرعَوْا غَنَمَ أبيهِمْ عِندَ شَكيمَ. فقالَ إسرائيلُ ليوسُفَ: «أليس إخوَتُكَ يَرعَوْنَ عِندَ شَكيمَ؟ تعالَ فأُرسِلكَ إليهِمْ».

فقالَ لهُ: «هأنَذا».

فقالَ لهُ: «اذهَبِ انظُرْ سلامَةَ إخوَتِكَ وسَلامَةَ الغَنَمِ ورُدَّ لي خَبَرًا». فأرسَلهُ مِنْ وطاءِ (منخفض) حَبرونَ فأتَى إلَى شَكيمَ. فوَجَدَهُ رَجُلٌ وإذا هو ضالٌّ في الحَقلِ. فسألهُ الرَّجُلُ قائلًا: «ماذا تطلُبُ؟».

فقالَ: «أنا طالِبٌ إخوَتي. أخبِرني «أين يَرعَوْنَ؟».

فقالَ الرَّجُلُ: «قد ارتَحَلوا مِنْ هنا، لأنّي سمِعتُهُمْ يقولونَ: لنَذهَبْ إلَى دوثانَ». فذَهَبَ يوسُفُ وراءَ إخوَتِهِ فوَجَدَهُمْ في دوثانَ.

فلَمّا أبصَروهُ مِنْ بَعيدٍ، قَبلَما اقتَرَبَ إليهِمِ، احتالوا لهُ (فكروا في حيلة) ليُميتوهُ. فقالَ بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «هوذا هذا صاحِبُ الأحلامِ قادِمٌ. فالآنَ هَلُمَّ نَقتُلهُ ونَطرَحهُ في إحدَى الآبارِ ونَقولُ: وحشٌ رَديءٌ أكلهُ. فنَرَى ماذا تكونُ أحلامُهُ».

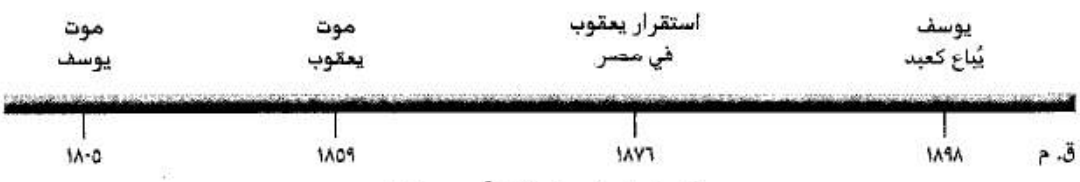

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

فسمِعَ رأوبَينُ وأنقَذَهُ مِنْ أيديهِمْ، وقالَ: «لا نَقتُلُهُ». وقالَ لهُمْ رأوبَينُ: «لا تسفِكوا دَمًا. اِطرَحوهُ في هذِهِ البِئرِ الّتي في البَرّيَّةِ ولا تمُدّوا إليهِ يَدًا (لا تؤذوه)». لكَيْ يُنقِذَهُ مِنْ أيديهِمْ ليَرُدَّهُ إلَى أبيهِ.

فكانَ لَمّا جاءَ يوسُفُ إلَى إخوَتِهِ أنهُم خَلَعوا عن يوسُفَ قَميصَهُ، القَميصَ المُلَوَّنَ الّذي علَيهِ، وأخَذوهُ وطَرَحوهُ في البِئرِ. وأمّا البِئرُ فكانتْ فارِغَةً ليس فيها ماءٌ.

ثُمَّ جَلَسوا ليأكُلوا طَعامًا. فرَفَعوا عُيونَهُمْ ونَظَروا وإذا قافِلَةُ إسماعيليّينَ مُقبِلَةٌ مِنْ جِلعادَ، وجِمالُهُمْ حامِلَةٌ كثيراءَ وبَلَسانًا ولاذَنًا (نباتات تستخدم لأغراض طبية)، ذاهِبينَ لينزِلوا بها إلَى مِصرَ.

فقالَ يَهوذا لإخوَتِهِ: «ما الفائدَةُ أنْ نَقتُلَ أخانا ونُخفيَ دَمَهُ؟ تعالَوْا فنَبيعَهُ للإسماعيليّينَ، ولا تكُنْ أيدينا علَيهِ لأنَّهُ أخونا ولَحمُنا». فسمِعَ لهُ إخوَتُهُ.

واجتازَ رِجالٌ مِديانيّونَ تُجّارٌ، فسحَبوا يوسُفَ وأصعَدوهُ مِنَ البِئرِ، وباعوا يوسُفَ للإسماعيليّينَ بعِشرينَ مِنَ الفِضَّةِ. فأتَوْا بيوسُفَ إلَى مِصرَ. ورَجَعَ رأوبَينُ إلَى البِئرِ، وإذا يوسُفُ ليس في البِئرِ، فمَزَّقَ ثيابَهُ. ثُمَّ رَجَعَ إلَى إخوَتِهِ وقالَ: «الوَلَدُ ليس مَوْجودًا، وأنا إلَى أين أذهَبُ؟».

فأخَذوا قَميصَ يوسُفَ وذَبَحوا تيسًا مِنَ المِعزَى وغَمَسوا القَميصَ في الدَّمِ. وأرسَلوا القَميصَ المُلَوَّنَ وأحضَروهُ إلَى أبيهِمْ وقالوا: «وجَدنا هذا. حَقِّقْ أقَميصُ ابنِكَ هو أم لا؟».

فتحَقَّقَهُ وقالَ: «قَميصُ ابني! وحشٌ رَديءٌ أكلَهُ، افتُرِسَ يوسُفُ افتِراسًا». فمَزَّقَ يعقوبُ ثيابَهُ، ووضَعَ مِسحًا علَى حَقَوَيهِ، وناحَ علَى ابنِهِ أيّامًا كثيرَةً. فقامَ جميعُ بَنيهِ وجميعُ بَناتِهِ ليُعَزّوهُ، فأبَى أنْ يتعَزَّى وقالَ: «إنّي أنزِلُ إلَى ابني نائحًا إلَى الهاويَةِ». وبَكَى علَيهِ أبوهُ.

وأمّا يوسُفُ فأُنزِلَ إلَى مِصرَ، واشتَراهُ فوطيفارُ خَصيُّ فِرعَوْنَ رَئيسُ الشُّرَطِ (الشرطة)، رَجُلٌ مِصريٌّ، مِنْ يَدِ الإسماعيليّينَ الّذينَ أنزَلوهُ إلَى هناكَ. وكانَ الرَّبُّ مع يوسُفَ فكانَ رَجُلاً ناجِحًا، وكانَ في بَيتِ سيِّدِهِ المِصريِّ.

ورأى سيِّدُهُ أنَّ الرَّبَّ معهُ، وأنَّ كُلَّ ما يَصنَعُ كانَ الرَّبُّ يُنجِحُهُ بيَدِهِ. فوَجَدَ يوسُفُ نِعمَةً في عَينَيهِ، وخَدَمَهُ، فوَكَّلَهُ علَى بَيتِهِ ودَفَعَ إلَى يَدِهِ كُلَّ ما كانَ لهُ. وكانَ مِنْ حينِ وكَّلَهُ علَى بَيتِهِ، وعلَى كُلِّ ما كانَ لهُ، أنَّ الرَّبَّ بارَكَ بَيتَ المِصريِّ بسَبَبِ يوسُفَ. وكانتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ علَى كُلِّ ما كانَ لهُ في البَيتِ وفي الحَقلِ، فترَكَ كُلَّ ما كانَ لهُ في يَدِ يوسُفَ. ولَمْ يَكُنْ معهُ يَعرِفُ شَيئًا إلا الخُبزَ الّذي يأكُلُ. وكانَ يوسُفُ حَسَنَ الصّورَةِ وحَسَنَ المَنظَرِ.

وحَدَثَ بَعدَ هذِهِ الأُمورِ أنَّ امرأةَ سيِّدِهِ رَفَعَتْ عَينَيها إلَى يوسُفَ وقالَتِ: «اضطَجِعْ مَعي». فأبَى (رفض) وقالَ لامرأةِ سيِّدِهِ: «هوذا سيِّدي لا يَعرِفُ مَعي ما في البَيتِ، وكُلُّ ما لهُ قد دَفَعَهُ إلَى يَدي. ليس هو في هذا البَيتِ أعظَمَ مِنّي. ولَمْ يُمسِكْ عَنّي شَيئًا غَيرَكِ، لأنَّكِ امرأتُهُ. فكيفَ أصنَعُ هذا الشَّرَّ العظيمَ وأُخطِئُ إلَى اللهِ؟». وكانَ إذ كلَّمَتْ يوسُفَ يومًا فيومًا أنَّهُ لَمْ يَسمَعْ لها أنْ يَضطَجِعَ بجانِبِها ليكونَ معها.

ثُمَّ حَدَثَ نَحوَ هذا الوقتِ أنَّهُ دَخَلَ البَيتَ ليَعمَلَ عَمَلهُ، ولَمْ يَكُنْ إنسانٌ مِنْ أهلِ البَيتِ هناكَ في البَيتِ. فأمسَكَتهُ بثَوْبِهِ قائلَةً: «اضطَجِعْ مَعي!». فترَكَ ثَوْبَهُ في يَدِها وهَرَبَ وخرجَ إلَى خارِجٍ. وكانَ لَمّا رأتْ أنَّهُ ترَكَ ثَوْبَهُ في يَدِها وهَرَبَ إلَى خارِجٍ، أنَّها نادَتْ أهلَ بَيتِها، وكلَّمَتهُمْ قائلةً: «انظُروا! قد جاءَ إلَينا برَجُلٍ عِبرانيٍّ ليُداعِبَنا (ليعتدي علينا)! دَخَلَ

إلَيَّ ليَضطَجِعَ مَعي، فصَرَختُ بصوتٍ عظيمٍ. وكانَ لَمّا سمِعَ أنّي رَفَعتُ صوتي وصَرَختُ، أنَّهُ ترَكَ ثَوْبَهُ بجانِبي وهَرَبَ وخرجَ إلَى خارِجٍ».

فوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بجانِبِها حتَّى جاءَ سيِّدُهُ إلَى بَيتِهِ. فكلَّمَتهُ بمِثلِ هذا الكلامِ قائلَةً: «دَخَلَ إلَيَّ العَبدُ العِبرانيُّ الّذي جِئتَ بهِ إلَينا ليُداعِبَني. وكانَ لَمّا رَفَعتُ صوتي وصَرَختُ، أنهُ ترَكَ ثَوْبَهُ بجانِبي وهَرَبَ إلَى خارِجٍ».

فكانَ لَمّا سمِعَ سيِّدُهُ كلامَ امرأتِهِ الّذي كلَّمَتهُ بهِ قائلَةً: «بحَسَبِ هذا الكلامِ صَنَعَ بي عَبدُكَ»، أنَّ غَضَبَهُ حَميَ. فأخَذَ يوسُفَ سيِّدُهُ ووضَعَهُ في بَيتِ السِّجنِ، المَكانِ الّذي كانَ أسرَى المَلِكِ مَحبوسينَ فيهِ. وكانَ هناكَ في بَيتِ السِّجنِ.

ولكن الرَّبَّ كانَ مع يوسُفَ، وبَسَطَ إليهِ لُطفًا، وجَعَلَ نِعمَةً لهُ في عَينَيْ رَئيسِ بَيتِ السِّجنِ. فدَفَعَ رَئيسُ بَيتِ السِّجنِ إلَى يَدِ يوسُفَ جميعَ الأسرَى الّذينَ في بَيتِ السِّجنِ. وكُلُّ ما كانوا يَعمَلونَ هناكَ كانَ هو العامِلَ. ولَمْ يَكُنْ رَئيسُ بَيتِ السِّجنِ يَنظُرُ شَيئًا البَتَّةَ مِمّا في يَدِهِ، لأنَّ الرَّبَّ كانَ معهُ، ومَهما صَنَعَ كانَ الرَّبُّ يُنجِحُهُ.

ظهرت موهبة الإدارة الناجحة التي عند يوسف بوضوح في بيت فوطيفار، وكذلك في السجن. لكن هناك موهبة أخرى منحها الله له وهي القدرة على تفسير الأحلام، وقد استخدمها يوسف أثناء وجوده في السجن لمساعدة اثنين من خدم فرعون حُكم عليهما بالسجن في تفسير حلميهما.

وحَدَثَ مِنْ بَعدِ سنَتَينِ، مِنَ الزَّمانِ أنَّ فِرعَوْنَ رأى حُلمًا. وكانَ في الصّباحِ أنَّ نَفسَهُ انزَعَجَتْ، فأرسَلَ ودَعا جميعَ سحَرَةِ مِصرَ وجميعَ

حُكَمائها. وقَصَّ علَيهِمْ فِرعَوْنُ حُلمَهُ، فلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ (يفسره) لِفِرعَوْنَ.

ثُمَّ كلَّمَ رَئيسُ السُّقاةِ فِرعَوْنَ قائلًا: «أنا أتَذَكَّرُ اليومَ خطاياي. فِرعَوْنُ سخَطَ علَى عَبدَيهِ، فجَعَلَني في حَبسِ بَيتِ رَئيسِ الشُّرَطِ أنا ورَئيسَ الخَبّازينَ. فحَلُمنا حُلمًا في ليلَةٍ واحِدَةٍ أنا وهو. حَلُمنا كُلُّ واحِدٍ بحَسَبِ تعبيرِ حُلمِهِ. وكانَ هناكَ معنا غُلامٌ عِبرانيٌّ عَبدٌ لرَئيسِ الشُّرَطِ، فقَصَصنا علَيهِ، فعَبَّرَ لنا حُلمَينا. عَبَّرَ لكُلِّ واحِدٍ بحَسَبِ حُلمِهِ. وكما عَبَّرَ لنا هكذا حَدَثَ. رَدَّني أنا إلَى مَقامي، وأمّا هو فعَلَّقَهُ».

فأرسَلَ فِرعَوْنُ ودَعا يوسُفَ، فأسرَعوا بهِ مِنَ السِّجنِ. فحَلَقَ وأبدَلَ ثيابَهُ ودَخَلَ علَى فِرعَوْنَ. فقالَ فِرعَوْنُ ليوسُفَ: «حَلُمتُ حُلمًا وليس مَنْ يُعَبِّرُهُ. وأنا سمِعتُ عنكَ قَوْلًا، إنَّكَ تسمَعُ أحلامًا لتُعَبِّرَها». فأجابَ يوسُفُ فِرعَوْنَ قائلًا: «ليس لي. اللهُ يُجيبُ بسَلامَةِ فِرعَوْنَ».

فقالَ فِرعَوْنُ ليوسُفَ: «إنّي كُنتُ في حُلمي واقِفًا علَى شاطِئِ النَّهرِ، وهوذا سبعُ بَقَراتٍ طالِعَةٍ مِنَ النَّهرِ سمينَةِ اللَّحمِ وحَسَنَةَ الصّورَةِ، فارتَعَتْ في رَوْضَةٍ (كانت ترعى في المزارع). ثُمَّ هوذا سبعُ بَقَراتٍ أُخرَى طالِعَةٍ وراءَها مَهزولَةً وقَبيحَةَ الصّورَةِ جِدًّا ورَقيقَةَ اللَّحمِ. لَمْ أنظُرْ في كُلِّ أرضِ مِصرَ مِثلها في القَباحَةِ. فأكلَتِ البَقَراتُ الرَّقيقَةُ والقَبيحَةُ البَقَراتِ السَّبعَ الأولَى السَّمينَةَ. فدَخَلَتْ أجوافَها، ولَمْ يَعلَمْ أنَّها دَخَلَتْ في أجوافِها، فكانَ مَنظَرُها قَبيحًا كما في الأوَّلِ. واستَيقَظتُ. ثُمَّ رأيتُ في حُلمي وهوذا سبعُ سنابِلَ طالِعَةٌ في ساقٍ واحِدٍ مُمتَلِئَةً وحَسَنَةً. ثُمَّ هوذا سبعُ سنابِلَ يابِسَةً رَقيقَةً مَلفوحَةً بالرّيحِ الشَّرقيَّةِ نابِتَةٌ وراءَها. فابتَلَعَتِ السَّنابِلُ الرَّقيقَةُ السَّنابِلَ السَّبعَ الحَسَنة. فقُلتُ للسَّحَرَةِ، ولَمْ يَكُنْ مَنْ يُخبِرُني».

فقالَ يوسُفُ لِفِرعَوْنَ: «حُلمُ فِرعَوْنَ واحِدٌ. قد أخبَرَ اللهُ فِرعَوْنَ بما هو صانِعٌ.

هوذا سبعُ سِنينَ قادِمَةٌ شِبَعًا عظيمًا في كُلِّ أرضِ مِصرَ. ثُمَّ تقومُ بَعدَها سبعُ سِنينَ جوعًا.

وأمّا عن تكرارِ الحُلمِ علَى فِرعَوْنَ مَرَّتَينِ، فلأنَّ الأمرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ، واللهُ مُسرِعٌ ليَصنَعَهُ.

«فالآنَ ليَنظُرْ فِرعَوْنُ رَجُلًا بَصيرًا وحَكيمًا ويَجعَلهُ علَى أرضِ مِصرَ.

فحَسُنَ الكلامُ في عَينَيْ فِرعَوْنَ وفي عُيونِ جميع عَبيدِهِ.

ثُمَّ قالَ فِرعَوْنُ ليوسُفَ: «بَعدَ ما أعلَمَكَ اللهُ كلَّ هذا، ليس بَصيرٌ وحَكيمٌ مِثلكَ. أنتَ تكونُ علَى بَيتي (المسئول الأول في بيتي)، وعلَى فمِكَ يُقَبِّلُ (يطيع) جميعُ شَعبي إلا إنَّ الكُرسيَّ (عرشي) أكونُ فيهِ أعظَمَ مِنكَ».

ثُمَّ قالَ فِرعَوْنُ ليوسُفَ: «انظُرْ، قد جَعَلتُكَ علَى كُلِّ أرضِ مِصرَ». وخَلَعَ فِرعَوْنُ خاتِمَهُ مِنْ يَدِهِ وجَعَلهُ في يَدِ يوسُفَ، وألبَسَهُ ثيابَ بوصٍ، ووضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ في عُنُقِهِ، وأركَبهُ في مَركَبَتِهِ الثّانيةِ، ونادَوْا أمامَهُ «اركَعوا». وجَعَلهُ علَى كُلِّ أرضِ مِصرَ. وقالَ فِرعَوْنُ ليوسُفَ: «أنا فِرعَوْنُ. فبدونِكَ لا يَرفَعُ إنسانٌ يَدَهُ ولا رِجلهُ في كُلِّ أرضِ مِصرَ».

من المؤكد أن فلاحي مصر قد مرت بهم سبع سنين لم يصدقوا أن حقولهم قد أنتجت هذه المحاصيل الكافية لهم ليشبعوا، وفاض منها كميات كبيرة قاموا بتخزينها، ليأكلوا منها في سنين المجاعة. يوسف أيضًا اختبر نوعًا آخر من الإثمار في ذلك الوقت. إذ أنجبت زوجته له ابنين هما منسى[1] وأفرايم[2].

---

١ منسى: اسم مشتق من كلمة عبرية معناها "ينسى".

٢ أفرايم: اسم مشتق من كلمة عبرية معناها "ثمر مضاعف".

ثم أخذت ملامح سنوات المجاعة في الظهور. فارتفعت درجة الحرارة وقلت كميات المياه وذبلت المزروعات. ولكن يوسف كان مستعدًا لهذا الأمر، فكميات الحبوب التي قام بتخزينها كانت كبيرة جدًا. وسارت الأمور تمامًا حسب خطة الله. فعندما اشتد الجفاف بدأت البلاد المجاورة لمصر تأتي طلبًا للخبز. والآن انظروا مَن سيظهر في المشهد.

فلَمّا رأى يعقوبُ أَنَّهُ يوجَدُ قمحٌ في مِصرَ، قالَ يعقوبُ لبَنيهِ: «لماذا تنظُرونَ بَعضُكُمْ إلَى بَعضٍ؟» وقالَ «إنّي قد سمِعتُ أَنَّهُ يوجَدُ قمحٌ في مِصرَ. انزِلوا إلَى هناكَ واشتَروا لنا مِنْ هناكَ لنَحيا ولا نَموتَ».

فنَزلَ عَشرَةٌ مِنْ إخوَةِ يوسُفَ ليَشتَروا قمحًا مِنْ مِصرَ. وأمّا بَنيامينُ أخو يوسُفَ فلَمْ يُرسِلهُ يعقوبُ مع إخوَتِهِ، لأَنَّهُ قالَ: «لَعَلَّهُ تُصيبُهُ أذيَّةٌ».

وكانَ يوسُفُ هو المُسَلَّطَ علَى الأرضِ، وهو البائعَ لكُلِّ شَعبِ الأرضِ. فأتَى إخوَةُ يوسُفَ وسَجَدوا لهُ بوُجوهِهِمْ إلَى الأرضِ. ولَمّا نَظَرَ يوسُفُ إخوَتَهُ عَرَفَهُمْ، فتنكَّرَ لهُمْ (تظاهر بعدم معرفته لهم) وتَكلَّمَ معهُمْ بجَفاءٍ، وقالَ لهُمْ: «مِنْ أين جِئتُم؟» فقالوا: «مِنْ أرضِ كنعانَ لنَشتَريَ طَعامًا». وعَرَفَ يوسُفُ إخوَتَهُ، وأمّا هُم فلَمْ يَعرِفوهُ.

فتذَكَّرَ يوسُفُ الأحلامَ الّتي حَلُمَ عنهُمْ، وقالَ لهُمْ: «جَواسيسُ أنتُمْ! لتَرَوْا عَوْرَةَ الأرضِ (الأماكن ضعيفة الحماية) جِئتُمْ».

فقالوا لهُ: «لا يا سيِّدي، بل عَبيدُكَ جاءوا ليَشتَروا طَعامًا. نَحنُ جميعُنا بَنو رَجُلٍ واحِدٍ. نَحنُ أُمَناءُ، ليس عَبيدُكَ جَواسيسَ». فقالَ لهُمْ: «كلّا! بل لتَرَوْا عَوْرَةَ الأرضِ جِئتُمْ». فقالوا: «عَبيدُكَ اثنا عشَرَ أخًا. نَحنُ بَنو رَجُلٍ واحِدٍ في أرضِ كنعانَ. وهوذا الصَّغيرُ عِندَ أبينا اليومَ، والواحِدُ مَفقودٌ».

فقالَ لهُمْ يوسُفُ: «ذلكَ ما كلَّمتُكُمْ بهِ قائلًا: جَواسيسُ أنتُمْ! بهذا تُمتَحَنونَ. وحياةِ فِرعَوْنَ لا تخرُجونَ مِنْ هنا إلا بمَجيءِ أخيكُمُ الصَّغيرِ إلَى هنا. أرسِلوا مِنكُمْ واحِدًا ليَجيءَ بأخيكُمْ، وأنتُمْ تُحبَسونَ، فيُمتَحَنَ كلامُكُمْ هل عِندَكُمْ صِدقٌ. وإلا فوَحياةِ فِرعَوْنَ إنَّكُمْ لَجَواسيسُ!». فجَمَعَهُمْ إلَى حَبسٍ ثَلاثَةَ أيّامٍ.

ثُمَّ قالَ لهُمْ يوسُفُ في اليومِ الثّالِثِ: «افعَلوا هذا واحيَوْا. أنا خائفُ اللهِ. إنْ كنتُم أُمَناءَ فليُحبَسْ أخٌ واحِدٌ مِنكُمْ في بَيتِ حَبسِكُمْ، وانطَلِقوا أنتُمْ وخُذوا قمحًا لمَجاعَةِ بُيوتِكُمْ. وأحضِروا أخاكُمُ الصَّغيرَ إلَيَّ، فيَتَحَقَّقَ كلامُكُمْ ولا تموتوا». ففَعَلوا هكذا.

وقالوا بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «حَقًّا إنَّنا مُذنِبونَ إلَى أخينا الّذي رأينا ضيقَةَ نَفسِهِ لَمّا استَرحَمَنا ولَمْ نَسمَعْ. لذلكَ جاءَتْ علَينا هذِهِ الضّيقَةُ». فأجابَهُمْ رأوبَينُ قائلًا: «ألَمْ أُكلِّمكُمْ قائلًا: لا تأثَموا (لا تضروا) بالوَلَدِ، وأنتُمْ لَمْ تسمَعوا؟ فهوذا دَمُهُ يُطلَبُ». وهُم لَمْ يَعلَموا أنَّ يوسُفَ فاهِمٌ، لأنَّ التُّرجُمانَ (المترجم) كانَ بَينَهُمْ. فتحَوَّلَ عنهُمْ (ابتعد عنهم) وبَكَى، ثُمَّ رَجَعَ إليهِمْ وكلَّمَهُمْ، وأخَذَ مِنهُمْ شِمعونَ وقيَّدَهُ أمامَ عُيونِهِمْ.

قام يوسف بعمل حيلة ماكرة. لقد أخذ واحد من إخوته، وهو شمعون، ووضعه في السجن، وأبقاه رهينة لحين عودة أخيه الأصغر بنيامين. ثم قام برد ثمن القمح بأن وضع الفضة سرًا في أكياس القمح. كما أخفى شخصيته عنهم وتحدث معهم باللغة المصرية وجعل المترجم يشرح لهم ما يقوله. كل هذا وهو ينصت جيدًا إليهم وهم يعبرون بوضوح عن مخاوفهم.

وعندما وصل إخوة يوسف إلى بيت أبيهم في أرض كنعان، واكتشفوا وجود الفضة، وقعوا في حيرة شديدة. ولما أخبروا أباهم يعقوب عن أن حاكم مصر لن يعطيهم قمحًا مرة أخرى إن

لم يحضروا أخاهم بنيامين معهم، رفض يعقوب ذلك، وأصر على موقفه بعناد لأنه خاف أن يفقد ابنه الصغير مثلما فقد يوسف من قبل. وشعر الإخوة أنهم وصلوا إلى طريق مسدود.

وكانَ الجوعُ شَديدًا في الأرضِ. وحَدَثَ لَمّا فرَغوا مِنْ أكلِ القمح الّذي جاءوا بهِ مِنْ مِصرَ، أنَّ أباهُمْ قالَ لهُمُ: «ارجِعوا اشتَروا لنا قَليلًا مِنَ الطَّعامِ». فكلَّمَهُ يَهوذا قائلًا: «إنَّ الرَّجُلَ قد أشهَدَ علَينا (شدد التنبيه علينا) قائلًا: لا ترَوْنَ وجهي بدونِ أنْ يكونَ أخوكُمْ معكُمْ.

فقالَ لهُمْ إسرائيلُ أبوهُم: «إنْ كانَ هكذا فافعَلوا هذا: خُذوا مِنْ أفخَرِ جَنَى الأرضِ في أوعيَتِكُمْ، وأنزِلوا للرَّجُلِ هَديَّةً. قَليلًا مِنَ البَلَسانِ، وقَليلًا مِنَ العَسَلِ، وكثيراءَ ولاذَنًا وفُستُقًا ولَوْزًا.

وخُذوا أخاكُمْ وقوموا ارجِعوا إلَى الرَّجُلِ. واللهُ القديرُ يُعطيكُمْ رَحمَةً أمامَ الرَّجُلِ حتَّى يُطلِقَ لكُمْ أخاكُمُ الآخَرَ وبَنيامينَ. وأنا إذا عَدِمتُ (فقدت) الأولادَ عَدِمتُهُمْ».

فأخَذَ الرِّجالُ هذِهِ الهَديَّةَ، وأخَذوا ضِعفَ الفِضَّةِ في أياديهِمْ، وبَنيامينَ، وقاموا ونَزلوا إلَى مِصرَ ووقَفوا أمامَ يوسُفَ.

فلَمّا جاءَ يوسُفُ إلَى البَيتِ أحضَروا إليهِ الهَديَّةَ الّتي في أياديهِمْ إلَى البَيتِ، وسَجَدوا لهُ إلَى الأرضِ. فسألَ عن سلامَتِهِمْ، وقالَ: «أسالِمٌ أبوكُمُ الشَّيخُ الّذي قُلتُمْ عنهُ؟ أحَيٌّ هو بَعدُ؟».

فقالوا: «عَبدُكَ أبونا سالِمٌ. هو حَيٌّ بَعدُ». وخَرّوا وسَجَدوا.

فرَفَعَ عَينَيهِ ونَظَرَ بَنيامينَ أخاهُ ابنَ أُمِّهِ، وقالَ: «أهذا أخوكُمُ الصَّغيرُ الّذي قُلتُمْ لي عنهُ؟» ثُمَّ قالَ: «اللهُ يُنعِمُ علَيكَ يا ابني». واستَعجَلَ (تعجل القيام ومغادرة المكان) يوسُفُ لأنَّ أحشاءَهُ حَنَّتْ إلَى أخيهِ وطَلَبَ مَكانًا ليَبكيَ، فدَخَلَ المَخدَعَ وبَكَى هناكَ.

ثُمَّ غَسَلَ وجهَهُ وخرجَ وتَجَلَّدَ (تماسك)، وقالَ: «قَدِّموا طَعامًا».

فجَلَسوا قُدّامَهُ: البِكرُ بحَسَبِ بَكوريَّتِهِ، والصَّغيرُ بحَسَبِ صِغَرِهِ، فبُهِتَ الرِّجالُ بَعضُهُمْ إلَى بَعضٍ. ورَفَعَ حِصَصًا مِنْ قُدّامِهِ إليهِمْ، فكانتْ حِصَّةُ بَنيامينَ أكثَرَ مِنْ حِصَصِ جميعِهِمْ خَمسَةَ أضعافٍ. وشَرِبوا ورَووا معهُ.

ثُمَّ أمَرَ الّذي علَى بَيتِهِ قائلًا: «املأْ عِدالَ الرِّجالِ طَعامًا حَسَبَ ما يُطيقونَ حِملهُ، وضَعْ فِضَّةَ كُلِّ واحِدٍ في فمِ عِدلِهِ (أعلى الكيس). وطاسي (كأسي)، طاسَ الفِضَّةِ، تضَعُ في فمِ عِدلِ الصَّغيرِ، وثَمَنَ قمحِهِ». ففَعَلَ بحَسَبِ كلامِ يوسُفَ الّذي تكلَّمَ بهِ.

فلَمّا أضاءَ الصُّبحُ انصَرَفَ الرِّجالُ هُم وحَميرُهُمْ. ولَمّا كانوا قد خرجوا مِنَ المدينةِ ولَمْ يَبتَعِدوا، قالَ يوسُفُ للّذي علَى بَيتِهِ: «قُمِ اسعَ وراءَ الرِّجالِ، ومَتَى أدرَكتَهُمْ فقُلْ لهُمْ: لماذا جازَيتُمْ شَرًّا عِوَضًا عن خَيرٍ؟ أليس هذا هو الّذي يَشرَبُ سيِّدي فيهِ؟ وهو يتَفاءَلُ بهِ. أسأتُمْ في ما صَنَعتُمْ».

فأدرَكَهُمْ وقالَ لهُمْ هذا الكلامَ. فقالوا لهُ: «لماذا يتَكلَّمُ سيِّدي مِثلَ هذا الكلامِ؟ حاشا لعَبيدِكَ أنْ يَفعَلوا مِثلَ هذا الأمرِ! هوذا الفِضَّةُ الّتي وجَدنا في أفواهِ عِدالِنا رَدَدناها إلَيكَ مِنْ أرضِ كنعانَ. فكيفَ نَسرِقُ مِنْ بَيتِ سيِّدِكَ فِضَّةً أو ذَهَبًا؟ الّذي يوجَدُ معهُ مِنْ عَبيدِكَ يَموتُ، ونَحنُ أيضًا نَكونُ عَبيدًا لسَيِّدي».

فقالَ: «نَعَمِ، الآنَ بحَسَبِ كلامِكُمْ هكذا يكونُ. الّذي يوجَدُ معهُ يكونُ لي عَبدًا، وأمّا أنتُمْ فتكونونَ أبرياءَ». فاستَعجَلوا وأنزَلوا كُلُّ واحِدٍ عِدلهُ إلَى الأرضِ، وفَتحوا كُلُّ واحِدٍ عِدلهُ. ففَتَّشَ مُبتَدِئًا مِنَ الكَبيرِ حتَّى انتَهَى إلَى الصَّغيرِ، فوُجِدَ الطّاسُ في عِدلِ بَنيامينَ.

فمَزَّقوا ثيابَهُمْ وحَمَّلَ كُلُّ واحِدٍ علَى حِمارِهِ ورَجَعوا إلَى المدينةِ.

فدَخَلَ يَهوذا وإخوَتُهُ إلَى بَيتِ يوسُفَ وهو بَعدُ هناكَ، ووقَعوا أمامَهُ (انحنوا وسجدوا) علَى الأرضِ. فقالَ لهُمْ يوسُفُ: «ما هذا الفِعلُ الّذي فعَلتُم؟ ألَمْ تعلَموا أنَّ رَجُلًا مِثلي يتَفاءَلُ؟».

فقالَ يَهوذا: «ماذا نَقولُ لسَيِّدي؟ ماذا نَتكلَّمُ؟ وبماذا نَتبَرَّرُ؟ اللهُ قد وجَدَ إثمَ عَبيدِكَ. ها نَحنُ عَبيدٌ لسَيِّدي، نَحنُ والّذي وُجِدَ الطّاسُ في يَدِهِ جميعًا».

فقالَ: «حاشا لي أنْ أفعَلَ هذا! الرَّجُلُ الّذي وُجِدَ الطّاسُ في يَدِهِ هو يكونُ لي عَبدًا، وأمّا أنتُمْ فاصعَدوا بسَلامٍ إلَى أبيكُمْ».

ثُمَّ تقَدَّمَ إليهِ يَهوذا وقالَ: «استَمِعْ يا سيِّدي. ليَتكلَّمْ عَبدُكَ كلِمَةً في أُذُنَيْ سيِّدي ولا يَحمَ غَضَبُكَ علَى عَبدِكَ، لأنَّكَ مِثلُ فِرعَوْنَ.

قالَ لنا عَبدُكَ أبي: أنتُمْ تعلَمونَ أنَّ امرأتي ولَدَتْ لي اثنَينِ، فخرجَ الواحِدُ مِنْ عِندي، وقُلتُ: إنَّما هو قد افتُرِسَ افتِراسًا، ولَمْ أنظُرْهُ إلَى الآنَ. فإذا أخَذتُمْ هذا أيضًا مِنْ أمامِ وجهي وأصابَتهُ أذيَّةٌ، تُنزِلونَ شَيبَتي بشَرٍّ إلَى الهاويَةِ. فالآنَ مَتَى جِئتُ إلَى عَبدِكَ أبي، والغُلامُ ليس معنا، ونَفسُهُ مُرتَبِطَةٌ بنَفسِهِ، يكونُ مَتَى رأى أنَّ الغُلامَ مَفقودٌ، أنَّهُ يَموتُ، فيُنزِلُ عَبيدُكَ شَيبَةَ عَبدِكَ أبينا بحُزنٍ إلَى الهاويَةِ، لأنَّ عَبدَكَ ضَمِنَ الغُلامَ لأبي قائلًا: إنْ لَمْ أجِئْ بهِ إلَيكَ أصِرْ مُذنِبًا إلَى أبي كُلَّ الأيّامِ.

فالآنَ ليَمكُثْ عَبدُكَ عِوَضًا عن الغُلامِ، عَبدًا لسَيِّدي، ويَصعَدِ الغُلامُ مع إخوَتِهِ. لأنّي كيفَ أصعَدُ إلَى أبي والغُلامُ ليس مَعي؟ لئَلّا أنظُرَ الشَّرَّ الّذي يُصيبُ أبي».

فلَمْ يَستَطِعْ يوسُفُ أنْ يَضبِطَ نَفسَهُ لَدَى جميعِ الواقِفينَ عِندَهُ فصَرَخَ: «أخرِجوا كُلَّ إنسانٍ عَنّي». فلَمْ يَقِفْ أحَدٌ عِندَهُ حينَ عَرَّفَ

يوسُفُ إخوَتَهُ بنَفسِهِ. فأطلَقَ صوتَهُ بالبُكاءِ، فسمِعَ المِصريّونَ وسَمِعَ بَيتُ فِرعَوْنَ.

وقالَ يوسُفُ لإخوَتِهِ: «أنا يوسُفُ. أحَيٌّ أبي بَعدُ؟» فلَمْ يَستَطِعْ إخوَتُهُ أنْ يُجيبوهُ، لأنَّهُمُ ارتاعوا مِنهُ.

فقالَ يوسُفُ لإخوَتِهِ: «تقَدَّموا إلَيَّ». فتقَدَّموا. فقالَ: «أنا يوسُفُ أخوكُمُ الّذي بعتُموهُ إلَى مِصرَ. والآنَ لا تتأسَّفوا ولا تغتاظوا لأنَّكُمْ بعتُموني إلَى هنا، لأنَّهُ لاستِبقاءِ حياةٍ أرسَلَنيَ اللهُ قُدّامَكُمْ. لأنَّ للجوعِ في الأرضِ الآنَ سنَتينِ. وخَمسُ سِنينَ أيضًا لا تكونُ فيها فلاحَةٌ ولا حَصادٌ. فقد أرسَلَني اللهُ قُدّامَكُمْ ليَجعَلَ لكُمْ بَقيَّةً في الأرضِ وليَستَبقيَ لكُمْ نَجاةً عظيمَةً.

فالآنَ ليس أنتُمْ أرسَلتُموني إلَى هنا بل اللهُ. وهو قد جَعَلَني أبًا لفِرعَوْنَ وسَيِّدًا لكُلِّ بَيتِهِ ومُتَسَلِّطًا على كُلِّ أرضِ مِصرَ. أسرِعوا واصعَدوا إلَى أبي وقولوا لهُ: هكذا يقولُ ابنُكَ يوسُفُ: قد جَعَلَنيَ اللهُ سيِّدًا لكُلِّ مِصرَ. اِنزِلْ إلَيَّ. لا تقِفْ. فتسكُنَ في أرضِ جاسانَ وتكونَ قريبًا مِنّي، أنتَ وبَنوكَ وبَنو بَنيكَ وغَنمُكَ وبَقَرُكَ وكُلُّ ما لكَ. وأعولُكَ هناكَ، لأنَّهُ يكونُ أيضًا خَمسُ سِنينَ جوعًا. لئَلّا تفتَقِرَ أنتَ وبَيتُكَ وكُلُّ ما لكَ.

وهوذا عيونُكُمْ ترَى، وعَينا أخي بَنيامينَ، أنَّ فمي هو الّذي يُكلِّمُكُمْ. وتُخبِرونَ أبي بكُلِّ مَجدي في مِصرَ وبكُلِّ ما رأيتُمْ، وتَستَعجِلونَ وتَنزِلونَ بأبي إلَى هنا».

ثُمَّ وقَعَ على عُنُقِ بَنيامينَ أخيهِ وبَكَى، وبَكَى بَنيامينُ على عُنُقِهِ. وقَبَّلَ جميعَ إخوَتِهِ وبَكَى علَيهِمْ. وبَعدَ ذلكَ تكلَّمَ إخوَتُهُ معهُ.

فصَعِدوا مِنْ مِصرَ وجاءوا إلَى أرضِ كنعانَ، إلَى يعقوبَ أبيهِمْ.

وأخبَروهُ قائلينَ: «يوسُفُ حَيٌّ بَعدُ، وهو مُتَسَلِّطٌ علَى كُلِّ أرضِ مِصرَ». فجَمَدَ قَلبُهُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقهُمْ. ثُمَّ كلَّموهُ بكُلِّ كلامِ يوسُفَ الّذي كلَّمَهُمْ بهِ، وأبصَرَ العَجَلاتِ الّتي أرسَلها يوسُفُ لتَحمِلهُ. فعاشَتْ روحُ يعقوبَ أبيهِمْ. فقالَ إسرائيلُ: «كفَى! يوسُفُ ابني حَيٌّ بَعدُ. أذهَبُ وأراهُ قَبلَ أنْ أموتَ».

فارتَحَلَ إسرائيلُ وكُلُّ ما كانَ لهُ وأتَى إلَى بئرِ سبعٍ، وذَبحَ ذَبائحَ لإلهِ أبيهِ إسحاقَ. فكلَّمَ اللهُ إسرائيلَ في رؤَى اللَّيلِ وقالَ: «يعقوبُ، يعقوبُ!». فقالَ: «هأنَذا». فقالَ: «أنا اللهُ، إلهُ أبيكَ. لا تخَفْ مِنَ النُّزول إلَى مِصرَ، لأنّي أجعَلُكَ أُمَّةً عظيمَةً هناكَ. أنا أنزِلُ معكَ إلَى مِصرَ، وأنا أُصعِدُكَ أيضًا. ويَضَعُ يوسُفُ يَدَهُ علَى عَينَيكَ (أي يغمض عينيك عند موتك)».

فقامَ يعقوبُ مِنْ بئرِ سبعٍ، وحَمَلَ بَنو إسرائيلَ يعقوبَ أباهُمْ وأولادَهُمْ ونِساءَهُمْ في العَجَلاتِ الّتي أرسَلَ فِرعَوْنُ لحَملِهِ.

فأرسَلَ يَهوذا أمامَهُ إلَى يوسُفَ ليُرِيَ الطريقَ أمامَهُ إلَى جاسانَ، ثُمَّ جاءوا إلَى أرضِ جاسانَ. فشَدَّ يوسُفُ مَركَبَتَهُ وصَعِدَ لاستِقبالِ إسرائيلَ أبيهِ إلَى جاسانَ. ولَمّا ظَهَرَ لهُ وقَعَ علَى عُنُقِهِ وبَكَى علَى عُنُقِهِ زَمانًا. فقالَ إسرائيلُ ليوسُفَ: «أموتُ الآنَ بَعدَ ما رأيتُ وجهَكَ أنَّكَ حَيٌّ بَعدُ».

فأسكَنَ يوسُفُ أباهُ وإخوَتَهُ وأعطاهُمْ مُلكًا في أرضِ مِصرَ، في أفضَلِ الأرضِ، في أرضِ رَعَمسيسَ كما أمَرَ فِرعَوْنُ.

وعاشَ يعقوبُ في أرضِ مِصرَ سبعَ عشَرَةَ سنَةً. فكانتْ أيّامُ يعقوبَ، سِنو حَياتِهِ مِئَةً وسَبعًا وأربَعينَ سنَةً. ولَمّا قَرُبَتْ أيّامُ إسرائيلَ أنْ يَموتَ دَعا ابنَهُ يوسُفَ وقالَ لهُ: «إنْ كُنتُ قد وجَدتُ نِعمَةً في

عَينَيكَ فضَعْ يَدَكَ تحتَ فخذي واصنَعْ مَعي مَعروفًا وأمانَةً: لا تدفِنّي في مِصرَ، بل أضطَجِعُ مع آبائي، فتحمِلُني مِنْ مِصرَ وتَدفِنُني في مَقبَرَتِهِمْ». فقالَ: «أنا أفعَلُ بحَسَبِ قَوْلِكَ». فقالَ: «احلِفْ لي». فحَلَفَ لهُ. فسجَدَ إسرائيلُ علَى رأسِ السَّريرِ.

وقالَ إسرائيلُ ليوسُفَ: «ها أنا أموتُ، ولكن اللهَ سيكونُ معكُمْ ويَرُدُّكُمْ إلَى أرضِ آبائكُمْ.

مات يعقوب وعمره ١٤٧ سنة. وقبل موته جمع أبناءه ليباركهم، ويخبرهم بما سيحدث لهم في المستقبل، ويعطيهم بعض المسئوليات، وليس كل الأبناء سمعوا ما يتمنون. فكلمات يعقوب الأخيرة تنبئ بعضهم بفترات نجاح ورخاء، وتنبئ البعض الآخر بأوقات صعبة. وقد بارك يعقوب ابني يوسف منسى وأفرايم وأعطاهما نصيبًا كما لو كانا من أبناءه، وبهذا يكون يوسف قد أُعطي نصيبًا مضاعفًا من الميراث.

ولَمّا رأى إخوَةُ يوسُفَ أنَّ أباهُمْ قد ماتَ، قالوا: «لَعَلَّ يوسُفَ يَضطَهِدُنا ويَرُدُّ علَينا جميعَ الشَّرِّ الّذي صَنَعنا بِهِ». فأوَصَوْا إلَى يوسُفَ (أرسلوا إليه رسالة) قائلينَ: «أبوكَ أوصَى قَبلَ موتِهِ قائلًا: هكذا تقولونَ ليوسُفَ: آهِ! اصفَحْ عن ذَنبِ إخوَتِكَ وخَطيَّتِهِمْ، فإنَّهُمْ صَنَعوا بكَ شَرًّا. فالآنَ اصفَحْ عن ذَنبِ عَبيدِ إلهِ أبيكَ». فبَكَى يوسُفُ حينَ كلَّموهُ. وأتَى إخوَتُهُ أيضًا ووقَعوا أمامَهُ وقالوا: «ها نَحنُ عَبيدُكَ».

فقالَ لهُمْ يوسُفُ: «لا تخافوا. لأنَّهُ هل أنا مَكانَ اللهِ؟ أنتُمْ قَصَدتُمْ لي شَرًّا، أمّا اللهُ فقَصَدَ بِهِ خَيرًا، لكَيْ يَفعَلَ كما اليومَ، ليُحيِيَ شَعبًا كثيرًا. فالآنَ لا تخافوا. أنا أعولُكُمْ وأولادَكُمْ». فعَزّاهُمْ وطَيَّبَ قُلوبَهُمْ.

وسَكَنَ يوسُفُ في مِصرَ هو وبَيتُ أبيهِ، وعاشَ يوسُفُ مِئَةً وعشَرَ سِنينَ. ورأى يوسُفُ لأفرايِمَ أولادَ الجيلِ الثّالِثِ. وأولادُ ماكيرَ بنِ مَنَسَّى أيضًا وُلِدوا علَى رُكبَتَيْ يوسُفَ.

وقالَ يوسُفُ لإخوَتِهِ: «أنا أموتُ، ولكن اللهَ سيَفتَقِدُكُمْ ويُصعِدُكُمْ مِنْ هذِهِ الأرضِ إلَى الأرضِ الّتي حَلَفَ لإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ». واستَحلَفَ يوسُفُ بَني إسرائيلَ قائلًا: «اللهُ سيَفتَقِدُكُمْ فتُصعِدونَ عِظامي مِنْ هنا». ثُمَّ ماتَ يوسُفُ وهو ابنُ مِئَةٍ وعشَرِ سِنينَ، فحَنَّطوهُ ووُضِعَ في تابوتٍ في مِصرَ.

٤

الخلاص

وماتَ يوسُفُ وكُلُّ إخوَتِهِ وجميعُ ذلكَ الجيلِ. وأمّا بَنو إسرائيلَ فأثمَروا وتَوالَدوا ونَمَوْا وكثُروا كثيرًا جِدًّا، وامتَلأتِ الأرضُ مِنهُمْ.

ثُمَّ قامَ مَلِكٌ جديدٌ علَى مِصرَ لَمْ يَكُنْ يَعرِفُ يوسُفَ. فقالَ لشَعبِهِ: «هوذا بَنو إسرائيلَ شَعبٌ أكثَرُ وأعظَمُ مِنّا. هَلُمَّ نَحتالُ لهُمْ (نضطهدهم بحيلة ومكر) لئَلّا يَنموا، فيكونَ إذا حَدَثَتْ حَربٌ أنهُم يَنضَمّونَ إلَى أعدائنا ويُحارِبونَنا ويَصعَدونَ مِنَ الأرضِ».

فجَعَلوا علَيهِمْ رؤَساءَ تسخيرٍ لكَيْ يُذِلّوهُم بأثقالِهِمْ (بأعمال شاقة)، فبَنَوْا لفِرعَوْنَ مَدينَتَيْ مَخازِنَ: فيثومَ، ورَعَمسيسَ. ولكن بحَسبِما أذَلّوهُم هكذا نَمَوْا وامتَدّوا. فاختَشَوْا (خافوا) مِنْ بَني إسرائيلَ. فاستَعبَدَ المِصريّونَ بَني إسرائيلَ بعُنفٍ، ومَرَّروا حَياتَهُمْ بعُبوديَّةٍ قاسيةٍ في الطّينِ واللِّبنِ (الطوب) وفي كُلِّ عَمَلٍ في الحَقلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الّذي عَمِلوهُ بواسِطَتِهِمْ عُنفًا. ثُمَّ أمَرَ فِرعَوْنُ جميعَ شَعبِهِ قائلًا: «كلُّ ابنٍ يولَدُ تطرَحونَهُ في النَّهرِ، لكن كُلَّ بنتٍ تستَحيونَها (اتركوها تعيش)».

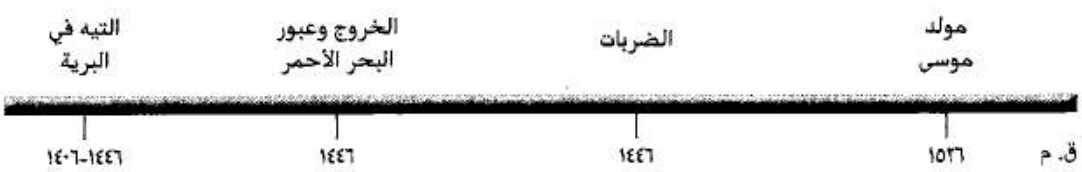

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

وذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيتِ لاوي وأخَذَ بنتَ لاوي، فحَبِلَتِ المَرأةُ وولَدَتِ ابنًا. ولَمّا رأتهُ أنَّهُ حَسَنٌ، خَبّأتهُ ثَلاثَةَ أشهُرٍ. ولَمّا لَمْ يُمكِنها أنْ تُخَبِّئهُ بَعدُ، أخَذَتْ لهُ سفَطًا (سلة) مِنَ البَرديِّ وطَلَتهُ بالحُمَرِ (القار) والزِّفتِ، ووضَعَتِ الوَلَدَ فيهِ، ووضَعَتهُ بَينَ الحَلفاءِ (نبات مائي) علَى حافَةِ النَّهرِ. ووقَفَتْ أُختُهُ مِنْ بَعيدٍ لتَعرِفَ ماذا يُفعَلُ بهِ.

فنَزلَتِ ابنَةُ فِرعَوْنَ إلَى النَّهرِ لتَغتَسِلَ، وكانتْ جَواريها ماشياتٍ علَى جانِبِ النَّهرِ. فرأتِ السَّفَطَ بَينَ الحَلفاءِ، فأرسَلَتْ أمَتَها وأخَذَتهُ. ولَمّا فتحَتهُ رأتِ الوَلَدَ، وإذا هو صَبيٌّ يَبكي. فرَقَّتْ لهُ وقالَتْ: «هذا مِنْ أولادِ العِبرانيّينَ».

فقالَتْ أُختُهُ لابنَةِ فِرعَوْنَ: «هل أذهَبُ وأدعو لكِ امرأةً مُرضِعَةً مِنَ العِبرانيّاتِ لتُرضِعَ لكِ الوَلَدَ؟» فقالَتْ لها ابنَةُ فِرعَوْنَ: «اذهَبي». فذَهَبَتِ الفَتاةُ ودَعَتْ أُمَّ الوَلَدِ. فقالَتْ لها ابنَةُ فِرعَوْنَ: «اذهَبي بهذا الوَلَدِ وأرضِعيهِ لي وأنا أُعطي أُجرَتَكِ». فأخَذَتِ المَرأةُ الوَلَدَ وأرضَعَتهُ. ولَمّا كبِرَ الوَلَدُ جاءَتْ بهِ إلَى ابنَةِ فِرعَوْنَ فصارَ لها ابنًا، ودَعَتِ اسمَهُ «موسَى» وقالَتْ: «إنّي انتَشَلتُهُ مِنَ الماءِ».

وحَدَثَ في تِلكَ الأيّامِ لَمّا كبِرَ موسَى أنَّهُ خرجَ إلَى إخوَتِهِ لينظُرَ في أثقالِهِمْ، فرأى رَجُلًا مِصريًّا يَضرِبُ رَجُلًا عِبرانيًّا مِنْ إخوَتِهِ، فالتَفَتَ إلَى هنا وهناكَ ورأى أنْ ليس أحَدٌ، فقَتَلَ المِصريَّ وطَمَرَهُ (دفنه) في الرَّملِ.

ثُمَّ خرجَ في اليومِ الثّاني وإذا رَجُلانِ عِبرانيّانِ يتَخاصَمانِ، فقالَ للمُذنِبِ: «لماذا تضرِبُ صاحِبَكَ؟» فقالَ: «مَنْ جَعَلكَ رَئيسًا وقاضيًا علَينا؟ أمُفتكِرٌ أنتَ بقَتلي كما قَتلتَ المِصريَّ؟». فخافَ موسَى وقالَ: «حَقًّا قد عُرِفَ الأمرُ».

فسمِعَ فِرعَوْنُ هذا الأمرَ، فطَلَبَ أنْ يَقتُلَ موسَى. فهَرَبَ موسَى مِنْ وجهِ فِرعَوْنَ وسَكَنَ في أرضِ مِديانَ، وجَلَسَ عِندَ البِئرِ.

وكانَ لكاهِنِ مِديانَ سبعُ بَناتٍ، فأتَينَ واستَقَينَ ومَلأنَ الأجرانَ ليَسقينَ غَنَمَ أبيهِنَّ. فأتَى الرُّعاةُ وطَرَدوهُنَّ. فنَهضَ موسَى وأنجَدَهُنَّ وسَقَى غَنَمَهُنَّ.

فلَمّا أتَينَ إلَى رَعوئيلَ أبيهِنَّ قالَ: «ما بالكُنَّ أسرَعتُنَّ في المَجيءِ اليومَ؟» فقُلنَ: «رَجُلٌ مِصريٌّ أنقَذَنا مِنْ أيدي الرُّعاةِ، وإنَّهُ استَقَى لنا أيضًا وسَقَى الغَنَمَ». فقالَ لبَناتِهِ: «وأين هو؟ لماذا تَرَكتُنَّ الرَّجُلَ؟ ادعونَهُ ليأكُلَ طَعامًا». فارتَضَى موسَى أنْ يَسكُنَ مع الرَّجُلِ، فأعطَى موسَى صَفّورَةَ ابنَتَهُ. فوَلَدَتِ ابنًا فدَعا اسمَهُ «جَرشومَ»، لأنَّهُ قالَ: «كُنتُ نَزيلًا في أرضٍ غَريبةٍ».

وحَدَثَ في تِلكَ الأيامِ الكَثيرَةِ أنَّ مَلِكَ مِصرَ ماتَ. وتَنهَّدَ بَنو إسرائيلَ مِنَ العُبوديَّةِ وصَرَخوا، فصَعِدَ صُراخُهُمْ إلَى اللهِ مِنْ أجلِ العُبوديَّةِ.

فسمِعَ اللهُ أنينَهُمْ، فتذَكَّرَ اللهُ ميثاقَهُ مع إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. ونَظَرَ اللهُ بَني إسرائيلَ وعَلِمَ اللهُ.

وأمّا موسَى فكانَ يَرعَى غَنَمَ يَثرونَ حَميهِ كاهِنِ مِديانَ، فساقَ الغَنَمَ إلَى وراءِ البَرّيَّةِ وجاءَ إلَى جَبَلِ اللهِ حوريبَ. وظَهَرَ لهُ مَلاكُ الرَّبِّ بلهيبِ نارٍ مِنْ وسَطِ عُلَّيقَةٍ (شجيرة). فنَظَرَ وإذا العُلَّيقَةُ تتَوَقَّدُ (تشتعل) بالنّارِ، والعُلَّيقَةُ لَمْ تكُنْ تحتَرِقُ. فقالَ موسَى: «أميلُ الآنَ (اقترب) لأنظُرَ هذا المَنظَرَ العظيمَ. لماذا لا تحتَرِقُ العُلَّيقَةُ؟».

فلَمّا رأى الرَّبُّ أنَّهُ مالَ لينظُرَ، ناداهُ اللهُ مِنْ وسَطِ العُلَّيقَةِ وقالَ: «موسَى، موسَى!». فقالَ: «هأنَذا». فقالَ: «لا تقتَرِبْ إلَى ههنا.

اخلَعْ حِذاءَكَ مِنْ رِجلَيكَ، لأنَّ المَوْضِعَ الّذي أنتَ واقِفٌ علَيهِ أرضٌ مُقَدَّسَةٌ»[1].

ثُمَّ قالَ: «أنا إلهُ أبيكَ، إلهُ إبراهيمَ وإلهُ إسحاقَ وإلهُ يعقوبَ». فغَطَّى موسَى وجهَهُ لأنَّهُ خافَ أنْ يَنظُرَ إلَى اللهِ. فقالَ الرَّبُّ: «إنّي قد رأيتُ مَذَلَّةَ شَعبي الّذي في مِصرَ وسَمِعتُ صُراخَهُمْ مِنْ أجلِ مُسَخِّريهِمْ. إنّي عَلِمتُ أوجاعَهُمْ، فنَزَلتُ لأُنقِذَهُمْ مِنْ أيدي المِصريّينَ، وأُصعِدَهُمْ مِنْ تِلكَ الأرضِ إلَى أرضٍ جَيِّدَةٍ وواسِعَةٍ، إلَى أرضٍ تفيضُ لَبَنًا وعَسَلًا (مثمرة وخصبة)، إلَى مَكانِ الكَنعانيّينَ والحِثّيّينَ والأموريّينَ والفِرِزّيّينَ والحِوّيّينَ واليَبوسيّينَ. والآنَ هوذا صُراخُ بَني إسرائيلَ قد أتَى إلَيَّ، ورأيتُ أيضًا الضّيقَةَ الّتي يُضايِقُهُمْ بها المِصريّونَ، فالآنَ هَلُمَّ فأُرسِلُكَ إلَى فِرعَوْنَ، وتُخرِجُ شَعبي بَني إسرائيلَ مِنْ مِصرَ».

فقالَ موسَى للهِ: «مَنْ أنا حتَّى أذهَبَ إلَى فِرعَوْنَ، وحتَّى أُخرِجَ بَني إسرائيلَ مِنْ مِصرَ؟» فقالَ: «إنّي أكونُ معكَ، وهذِهِ تكونُ لكَ العَلامَةُ أنّي أرسَلتُكَ: حينَما تُخرِجُ الشَّعبَ مِنْ مِصرَ، تعبُدونَ اللهَ علَى هذا الجَبَلِ».

فقالَ موسَى للهِ: «ها أنا آتي إلَى بَني إسرائيلَ وأقولُ لهُمْ: إلهُ آبائكُمْ أرسَلَني إلَيكُمْ. فإذا قالوا لي: ما اسمُهُ؟ فماذا أقولُ لهُم؟» فقالَ اللهُ لموسَى: «أهيَهِ الّذي أهيَهْ (الكائن الذي يكون)». وقالَ: «هكذا تقولُ لبَني إسرائيلَ: أهيَهْ أرسَلَني إلَيكُمْ».

وقالَ اللهُ أيضًا لموسَى: «هكذا تقولُ لبَني إسرائيلَ: يَهوَهْ إلهُ آبائكُمْ، إلهُ إبراهيمَ وإلهُ إسحاقَ وإلهُ يعقوبَ أرسَلَني إلَيكُمْ.

---

١ مقدسة: المعنى الحرفي العام لهذه الكلمة هو "مخصص" أو "مفرز". والله "قدوس" لأنه مختلف في نقائه وكماله عن البشر، ودعوة الله لنا أن نكون "قديسين" أي لنحيا حياة التخصيص والتكريس لخدمته.

هذا اسمي إلَى الأبدِ

وهذا ذِكري إلَى دَوْرٍ فدَوْرٍ.

فقالَ موسَى للرَّبِّ: «استَمِعْ أيُّها السَّيِّدُ، لَستُ أنا صاحِبَ كلامٍ منذُ أمسِ ولا أوَّلِ مِنْ أمسِ، ولا مِنْ حينِ كلَّمتَ عَبدَكَ، بل أنا ثَقيلُ الفَمِ واللِّسانِ». فقالَ لهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ للإنسانِ فمًا؟ أو مَنْ يَصنَعُ أخرَسَ أو أصَمَّ أو بَصيرًا أو أعمَى؟ أما هو أنا الرَّبُّ؟ فالآنَ اذهَبْ وأنا أكونُ مع فمِكَ وأُعَلِّمُكَ ما تتكلَّمُ بهِ».

فقالَ: «استَمِعْ أيُّها السَّيِّدُ، أرسِلْ بيَدِ مَنْ تُرسِلُ (أرسل شخصًا آخر)». فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى موسَى وقالَ: «أليس هارونُ اللاويُّ أخاكَ؟ أنا أعلَمُ أنَّهُ هو يتَكلَّمُ، وأيضًا ها هو خارِجٌ لاستِقبالِكَ. فحينَما يَراكَ يَفرَحُ بقَلبِهِ، فتُكلِّمُهُ وتَضَعُ الكلِماتِ في فمِهِ، وأنا أكونُ مع فمِكَ ومَعَ فمِهِ، وأُعلِمُكُما ماذا تصنَعانِ. وهو يُكلِّمُ الشَّعبَ عنكَ. وهو يكونُ لكَ فمًا، وأنتَ تكونُ لهُ إلهًا. وتأخُذُ في يَدِكَ هذِهِ العَصا الّتي تصنَعُ بها الآياتِ (المعجزات)».

وقالَ الرَّبُّ لهارونَ: «اذهَبْ إلَى البَرّيَّةِ لاستِقبالِ موسَى». فذَهَبَ والتَقاهُ في جَبَلِ اللهِ وقَبَّلَهُ. فأخبَرَ موسَى هارونَ بجميعِ كلامِ الرَّبِّ الّذي أرسَلهُ، وبكُلِّ الآياتِ الّتي أوصاهُ بها. ثُمَّ مَضَى موسَى وهارونُ وجَمَعا جميعَ شُيوخِ بَني إسرائيلَ. فتكلَّمَ هارونُ بجميعِ الكلامِ الّذي كلَّمَ الرَّبُّ موسَى بهِ، وصَنَعَ الآياتِ أمامَ عُيونِ الشَّعبِ. فآمَنَ الشَّعبُ. ولَمّا سمِعوا أنَّ الرَّبَّ افتَقَدَ بَني إسرائيلَ وأنَّهُ نَظَرَ مَذَلَّتَهُمْ، خَرّوا وسَجَدوا.

وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون: "إن الرب إله إسرائيل يقول لك: أطلق شعبي فيذهب سفر ثلاثة أيام ليعيدوا لي

في البرية". رفض فرعون وقال لهم: "أنا لا أعرف الرب ولن أطلق الشعب"، ولم يكتف بذلك بل زاد في اضطهاد الشعب، وجعلهم يقومون بجمع التبن اللازم لصناعة الطوب اللبن بأنفسهم وبدون أن ينقصوا من كمية الطوب المفروض عليهم إنتاجه.

فرأى مُدَبِّرو بَني إسرائيلَ أنفُسَهُمْ في بَلِيَّةٍ (مصيبة) إذ قيلَ لهُمْ لا تُنَقِّصوا مِنْ لبِنِكُمْ أمرَ كُلِّ يومٍ بيومِهِ. وصادَفوا موسَى وهارونَ واقِفَينِ لِلِقائِهِمْ حينَ خرجوا مِنْ لَدُنْ فِرعَوْنَ. فقالوا لهُما: «يَنظُرُ الرَّبُّ إلَيكُما ويَقضي (يجازيكما)، لأنَّكُما أنتَنتُما رائحَتَنا (جعلتمانا مكروهين) في عَينَيْ فِرعَوْنَ وفي عُيونِ عَبيدِهِ حتَّى تُعطيا سيفًا في أيديهِمْ ليَقتُلونا».

فرَجَعَ موسَى إلَى الرَّبِّ وقالَ: «يا سيِّدُ، لماذا أسأتَ إلَى هذا الشَّعبِ؟ لماذا أرسَلتَني؟ فإنَّهُ منذُ دَخَلتُ إلَى فِرعَوْنَ لأتَكلَّمَ باسمِكَ، أساءَ إلَى هذا الشَّعبِ. وأنتَ لَمْ تُخَلِّصْ شَعبَكَ».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «الآنَ تنظُرُ ما أنا أفعَلُ بفِرعَوْنَ. فإنَّهُ بيَدٍ قَويَّةٍ يُطلِقُهُمْ، وبيَدٍ قَويَّةٍ يَطرُدُهُمْ مِنْ أرضِهِ».

ثُمَّ كلَّمَ اللهُ موسَى وقالَ لهُ: «أنا الرَّبُّ. وأنا ظَهَرتُ لإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ بأنّي الإلهُ القادِرُ علَى كُلِّ شَيءٍ. وأمّا باسمي «يَهوَهْ» فلَمْ أُعرَفْ عِندَهُمْ. وأيضًا أقَمتُ معهُمْ عَهدي: أنْ أُعطيَهُمْ أرضَ كنعانَ أرضَ غُربَتِهِمِ الّتي تغَرَّبوا فيها. وأنا أيضًا قد سمِعتُ أنينَ بَني إسرائيلَ الّذينَ يَستَعبِدُهُمُ المِصريّونَ، وتَذَكَّرتُ عَهدي.

لذلكَ قُلْ لبَني إسرائيلَ: أنا الرَّبُّ. وأنا أُخرِجُكُمْ مِنْ تحتِ أثقالِ المِصريّينَ وأُنقِذُكُمْ مِنْ عُبوديَّتِهِمْ وأُخَلِّصُكُمْ[٢] بذِراعٍ مَمدودَةٍ

---

٢ أخلصكم: الكلمة هنا تعني "أفديكم" أي "أنقذكم من العبودية". ويمكن أن تشير إلى الفدية المدفوعة لتحرير مذنب من العقوبة.

وبأحكامٍ عظيمَةٍ، وأتَّخِذُكُمْ لي شَعبًا، وأكونُ لكُمْ إلهًا. فتعلَمونَ أنّي أنا الرَّبُّ إلهُكُمُ الّذي يُخرِجُكُمْ مِنْ تحتِ أثقالِ المِصريّينَ. وأُدخِلُكُمْ إلَى الأرضِ الّتي رَفَعتُ يَدي (أقسمت) أنْ أُعطيَها لإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. وأُعطيَكُمْ إيّاها ميراثًا. أنا الرَّبُّ».

وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى وهارونَ قائلًا: «إذا كلَّمَكُما فِرعَوْنُ قائلًا: هاتيا عَجيبَةً (أروني معجزة)، تقولُ لهارونَ: خُذْ عَصاكَ واطرَحها أمامَ فِرعَوْنَ فتصيرَ ثُعبانًا». فدَخَلَ موسَى وهارونُ إلَى فِرعَوْنَ وفَعَلا هكذا كما أمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هارونُ عَصاهُ أمامَ فِرعَوْنَ وأمامَ عَبيدِهِ فصارَتْ ثُعبانًا. فدَعا فِرعَوْنُ أيضًا الحُكَماءَ والسَّحَرَةَ، ففَعَلَ عَرّافو مِصرَ أيضًا بسِحرِهِمْ كذلكَ. طَرَحوا كُلُّ واحِدٍ عَصاهُ فصارَتِ العِصيُّ ثَعابينَ. ولكن عَصا هارونَ ابتَلَعَتْ عِصيَّهُمْ. فاشتَدَّ (تقسى) قَلبُ فِرعَوْنَ فلَمْ يَسمَعْ لهُما، كما تكلَّمَ الرَّبُّ.

ثُمَّ قالَ الرَّبُّ لموسَى: «قَلبُ فِرعَوْنَ غَليظٌ. قد أبَى أنْ يُطلِقَ الشَّعبَ. اِذهَبْ إلَى فِرعَوْنَ في الصّباحِ. إنَّهُ يَخرُجُ إلَى الماءِ، وقِفْ للِقائهِ علَى حافَةِ النَّهرِ. والعَصا الّتي تحَوَّلَتْ حَيَّةً تأخُذُها في يَدِكَ. وتَقولُ لهُ: الرَّبُّ إلهُ العِبرانيّينَ أرسَلَني إلَيكَ قائلًا: أطلِقْ شَعبي ليَعبُدوني في البَرّيَّةِ. وهوذا حتَّى الآنَ لَمْ تسمَعْ. هكذا يقولُ الرَّبُّ: بهذا تعرِفُ أنّي أنا الرَّبُّ: ها أنا أضرِبُ بالعَصا الّتي في يَدي علَى الماءِ الّذي في النَّهرِ فيَتَحَوَّلُ دَمًا. ويَموتُ السَّمَكُ الّذي في النَّهرِ ويَنتِنُ النَّهرُ. فيَعافُ (يكره) المِصريّونَ أنْ يَشرَبوا ماءً مِنَ النَّهرِ».

ثُمَّ قالَ الرَّبُّ لموسَى: «قُلْ لهارونَ: خُذْ عَصاكَ ومُدَّ يَدَكَ علَى مياهِ المِصريّينَ، علَى أنهارِهِمْ وعلَى سواقيهِمْ، وعلَى آجامِهِمْ (البرك والمستنقعات)، وعلَى كُلِّ مُجتَمَعاتِ مياهِهِمْ لتَصيرَ دَمًا. فيكونَ دَمٌ في كُلِّ

أرضِ مِصرَ في الأخشابِ وفي الأحجارِ». ففَعَلَ هكذا موسَى وهارونُ كما أمَرَ الرَّبُّ. رَفَعَ العَصا وضَرَبَ الماءَ الّذي في النَّهرِ أمامَ عَينَيْ فِرعَوْنَ وأمامَ عُيونِ عَبيدِهِ، فتحَوَّلَ كُلُّ الماءِ الّذي في النَّهرِ دَمًا. وماتَ السَّمَكُ الّذي في النَّهرِ وأنتَنَ النَّهرُ، فلَمْ يَقدِرِ المِصريّونَ أنْ يَشرَبوا ماءً مِنَ النَّهرِ. وكانَ الدَّمُ في كُلِّ أرضِ مِصرَ. وفَعَلَ عَرّافو مِصرَ كذلكَ بِسِحرِهِمْ. فاشتَدَّ قَلبُ فِرعَوْنَ فلَمْ يَسمَعْ لهُما، كما تكلَّمَ الرَّبُّ.

ثُمَّ انصَرَفَ فِرعَوْنُ ودَخَلَ بَيتَهُ ولَمْ يوَجِّهْ قَلبَهُ إلَى هذا أيضًا. وحَفَرَ جميعُ المِصريّينَ حَوالَي النَّهرِ لأجلِ ماءٍ ليَشرَبوا، لأنَّهُمْ لَمْ يَقدِروا أنْ يَشرَبوا مِنْ ماءِ النَّهرِ.

وكانت الضربة الثانية هي ملايين من الضفادع، فوجئ المصريون بها في كل مكان، في حجرات النوم وفي المطابخ، في الشوارع والطرقات وفي الحقول. وعمل السحرة المصريون مثل موسى وهارون فزاد عدد الضفادع. ولما تفاقم الأمر، وافق فرعون أن يطلق الشعب بشرط أن يصلي موسى وهارون إلى الله لكي يرفع الضفادع. فصلى موسى إلى الرب فماتت الضفادع، ولكن فرعون تراجع بعناد ورفض تنفيذ وعده.

وحدثت الضربة الثالثة، عندما ضرب موسى بعصاه تراب الأرض، فتحول إلى بعوض كثير غطى كل شيء، وفشل سحرة مصر أن يخرجوا البعوض، مما جعلهم يحترمون إله العبرانيين. ولكن فرعون استمر في عناده ولم يتراجع عن موقفه. استمر الله في إظهار قدرته وقوته لإنقاذ شعبه.

واستمرت الضربات على المصريين، فأتت ضربة الذباب وبعدها ضربة موت البهائم، وبعدها ضربة الدمامل التي أصابت الناس والحيوانات، ثم البرد والعواصف الرعدية، وبعدها ضربة الجراد، ثم ضربة حلول ظلام دامس على كل أرض مصر (ولكن

بيوت بني إسرائيل كان فيها نور). وكان فرعون بعد كل ضربة يعِد موسى بأنه سيطلق الشعب، ولكنه كان يتراجع عن وعده عند زوال الخطر.

ولكن شَدَّدَ (قسى) الرَّبُّ قَلبَ فِرعَوْنَ فلَمْ يَشأْ أنْ يُطلِقَهُمْ. وقالَ لهُ فِرعَوْنُ: «اذهَبْ عَنّي. اِحتَرِزْ (احذر). لا ترَ وجهي أيضًا. إنَّكَ يومَ ترَى وجهي تموتُ». فقالَ موسَى: «نِعِمّا (حسنًا) قُلتَ. أنا لا أعودُ أرَى وجهَكَ أيضًا».

ثُمَّ قالَ الرَّبُّ لموسَى: «ضَربَةً واحِدَةً أيضًا أجلِبُ علَى فِرعَوْنَ وعلَى مِصرَ. بَعدَ ذلكَ يُطلِقُكُمْ مِنْ هنا. وعندما يُطلِقُكُمْ يَطرُدُكُمْ طَردًا مِنْ هنا بالتَّمامِ. وقالَ موسَى (لفرعون): «هكذا يقولُ الرَّبُّ: إنّي نَحوَ نِصفِ اللَّيلِ أخرُجُ في وسَطِ مِصرَ، فيَموتُ كُلُّ بكرٍ في أرضِ مِصرَ، مِنْ بكرِ فِرعَوْنَ الجالِسِ علَى كُرسيِّهِ إلَى بكرِ الجاريَةِ الّتي خَلفَ الرَّحَى، وكُلُّ بكرِ بَهيمَةٍ. ويكونُ صُراخٌ عظيمٌ في كُلِّ أرضِ مِصرَ لَمْ يَكُنْ مِثلُهُ ولا يكونُ مِثلُهُ أيضًا. ولكن جميعُ بَني إسرائيلَ لا يُسَنِّنُ كلبٌ لسانَهُ (لا يحرك لسانه لينبح) إليهِمْ (عليهم)، لا إلَى النّاسِ ولا إلَى البَهائمِ. لكَيْ تعلَموا أنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَينَ المِصريّينَ وإسرائيلَ. فيَنزِلُ إلَيَّ جميعُ عَبيدِكَ هؤُلاءِ، ويَسجُدونَ لي قائلينَ: اخرُجْ أنتَ وجميعُ الشَّعبِ الّذينَ في أثَرِكَ. وبَعدَ ذلكَ أخرُجُ». ثُمَّ خرجَ مِنْ لَدُنْ فِرعَوْنَ في حُموِّ الغَضَبِ.

وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى وهارونَ في أرضِ مِصرَ قائلًا: «هذا الشَّهرُ يكونُ لكُمْ رأسَ الشُّهورِ. هو لكُمْ أوَّلُ شُهورِ السَّنَةِ. كلِّما كُلَّ جَماعَةِ إسرائيلَ قائلَينِ: في العاشِرِ مِنْ هذا الشَّهرِ يأخُذونَ لهُمْ كُلُّ واحِدٍ شاةً (خروف صغير) بحَسَبِ بُيوتِ الآباءِ، شاةً للبَيتِ.

التحرير

تكونُ لكُمْ شاةً صَحيحَةً (بلا عيب ولا مرض) ذَكَرًا ابنَ سنَةٍ، تأخُذونَهُ مِنَ الخِرفانِ أو مِنَ المَواعِزِ. ويكونُ عِندَكُمْ تحتَ الحِفظِ (الملاحظة) إلَى اليومِ الرّابعَ عشَرَ مِنْ هذا الشَّهرِ. ثُمَّ يَذبَحُهُ كُلُّ جُمهورِ جَماعَةِ إسرائيلَ في العَشيَّةِ. ويأخُذونَ مِنَ الدَّمِ ويَجعَلونَهُ علَى القائمَتَينِ والعَتَبَةِ العُليا في البُيوتِ الّتي يأكُلونَهُ فيها.

ويأكُلونَ اللَّحمَ تِلكَ اللَّيلَةَ مَشويًّا بالنّارِ مع فطيرٍ. علَى أعشابٍ مُرَّةٍ يأكُلونَهُ. وهكذا تأكُلونَهُ: أحقاؤُكُمْ مَشدودَةٌ (تشدون الحزام حول وسطكم)، وأحذيَتُكُمْ في أرجُلِكُمْ، وعِصيُّكُمْ في أيديكُمْ. وتأكُلونَهُ بعَجَلَةٍ (بسرعة). هو فِصحٌ[٣] للرَّبِّ. فإنّي أجتازُ في أرضِ مِصرَ هذِهِ اللَّيلَةَ، وأضرِبُ كُلَّ بكرٍ في أرضِ مِصرَ مِنَ النّاسِ والبَهائمِ. وأصنَعُ أحكامًا بكُلِّ آلِهَةِ المِصريّينَ. أنا الرَّبُّ. ويكونُ لكُمُ الدَّمُ عَلامَةً علَى البُيوتِ الّتي أنتُمْ فيها، فأرَى الدَّمَ وأعبُرُ عنكُمْ، فلا يكونُ علَيكُمْ ضَربَةٌ للهَلاكِ حينَ أضرِبُ أرضَ مِصرَ.

فدَعا موسَى جميعَ شُيوخِ إسرائيلَ وقالَ لهُمْ: «اسحَبوا وخُذوا لكُمْ غَنَمًا بحَسَبِ عَشائرِكُمْ واذبَحوا الفِصحَ. وخُذوا باقَةَ زوفا (حزمة نبات عطري) واغمِسوها في الدَّمِ الّذي في الطَّستِ (الإناء الكبير) ومُسّوا العَتَبَةَ العُليا والقائمَتَينِ بالدَّمِ الَّذي في الطَّستِ. وأنتُمْ لا يَخرُجْ أحَدٌ مِنكُمْ مِنْ بابِ بَيتِهِ حتَّى الصّباحِ، فإنَّ الرَّبَّ يَجتازُ ليَضرِبَ المِصريّينَ. فحينَ يَرَى الدَّمَ علَى العَتَبَةِ العُليا والقائمَتَينِ يَعبُرُ الرَّبُّ عن البابِ ولا يَدَعُ المُهلِكَ يَدخُلُ بُيوتكُمْ ليَضرِبَ. فتحفَظونَ هذا الأمرَ فريضَةً لكَ ولأولادِكَ إلَى الأبدِ.

---

٣ الفصح: هو العيد الذي يحتفل فيه الإسرائيليين بخلاصهم من العبودية في مصر. وكان خروف الفصح يُقدم ذبيحة ليلة العيد. وهذه الممارسة تماثل ذبيحة المسيح في العهد الجديد حيث قدم نفسه ذبيحة على الصليب لكي يحرر البشرية من عبودية الخطية.

ومَضَى بَنو إسرائيلَ وفَعَلوا كما أمَرَ الرَّبُّ موسَى وهارونَ. هكذا فعَلوا.

فحَدَثَ في نِصفِ اللَّيلِ أنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بكرٍ في أرضِ مِصرَ، مِنْ بكرِ فِرعَوْنَ الجالِسِ علَى كُرسيِّهِ إلَى بكرِ الأسيرِ الّذي في السِّجنِ، وكُلَّ بكرِ بَهيمَةٍ. فقامَ فِرعَوْنُ ليلًا هو وكُلُّ عَبيدِهِ وجميعُ المِصريّينَ. وكانَ صُراخٌ عظيمٌ في مِصرَ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيتٌ ليس فيهِ مَيتٌ.

فدَعا موسَى وهارونَ ليلًا وقالَ: «قوموا اخرُجوا مِنْ بَينِ شَعبي أنتُما وبَنو إسرائيلَ جميعًا، واذهَبوا اعبُدوا الرَّبَّ كما تكلَّمتُمْ. خُذوا غَنَمَكُمْ أيضًا وبَقَرَكُمْ كما تكلَّمتُمْ واذهَبوا. وبارِكوني أيضًا». وألَحَّ المِصريّونَ علَى الشَّعبِ ليُطلِقوهُم عاجِلًا مِنَ الأرضِ، لأنَّهُمْ قالوا: «جميعُنا أمواتٌ».

وأمّا إقامَةُ بَني إسرائيلَ الّتي أقاموها في مِصرَ فكانتْ أربَعَ مِئَةٍ وثَلاثينَ سنَةً. وكانَ عِندَ نِهايَةِ أربَعِ مِئَةٍ وثَلاثينَ سنَةً، في ذلكَ اليومِ عَينِهِ، أنَّ جميعَ أجنادِ الرَّبِّ (شعبه الذين يتبعونه) خرجَتْ مِنْ أرضِ مِصرَ.

أنقذ الله الشعب وحررهم من عبودية فرعون وأخرجهم من أرض مصر. وحمل بنو إسرائيل متاعهم مع كل الفضة والذهب والثياب التي أعطاها لهم المصريون، وبدأوا رحلة شاقة وطويلة لأرض كنعان. كان الرب يرشدهم في الطريق. ولكن خلاصهم النهائي من مصر لم يكتمل بعد.

وكانَ الرَّبُّ يَسيرُ أمامَهُمْ نهارًا في عَمودِ سحابٍ ليَهديَهُمْ في الطريقِ، وليلًا في عَمودِ نارٍ ليُضيءَ لهُمْ. لكَيْ يَمشوا نهارًا وليلًا. لَمْ يَبرَحْ (لم يتركهم) عَمودُ السَّحابِ نهارًا وعَمودُ النّارِ ليلًا مِنْ أمامِ الشَّعبِ.

وكلَّمَ الرَّبُ موسَى قائلًا: «كلِّمْ بَني إسرائيلَ أنْ يَرجِعوا ويَنزِلوا أمامَ فمِ الحيروثِ بَينَ مَجدَلَ والبحرِ، أمامَ بَعلَ صَفونَ. مُقابِلهُ تنزِلونَ عِندَ البحرِ. فيقولُ فِرعَوْنُ عن بَني إسرائيلَ: هُم مُرتَبِكونَ في الأرضِ. قد استَغلَقَ علَيهِمِ القَفرُ (صاروا محبوسين في البرية). وأُشَدِّدُ قَلبَ فِرعَوْنَ حتَّى يَسعَى وراءَهُمْ، فأتَمَجَّدُ بِفِرعَوْنَ وبجميعِ جَيشِهِ، ويَعرِفُ المِصريّونَ أنّي أنا الرَّبُّ». ففَعَلوا هكذا.

فلَمّا أُخبِرَ مَلِكُ مِصرَ أنَّ الشَّعبَ قد هَرَبَ، تغَيَّرَ قَلبُ فِرعَوْنَ وعَبيدِهِ علَى الشَّعبِ. فقالوا: «ماذا فعَلنا حتَّى أطلَقنا إسرائيلَ مِنْ خِدمَتِنا؟» فشَدَّ مَركَبَتَهُ وأخَذَ قَوْمَهُ معهُ. وأخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَركَبَةٍ مُنتَخَبَةٍ (مختارة) وسائرَ مَركَباتِ مِصرَ وجُنودًا مَركَبيَّةً علَى جميعِها. وشَدَّدَ الرَّبُّ قَلبَ فِرعَوْنَ مَلِكِ مِصرَ حتَّى سعَى وراءَ بَني إسرائيلَ، وبَنو إسرائيلَ خارِجونَ بيَدٍ رَفيعَةٍ. فسعَى المِصريّونَ وراءَهُمْ وأدرَكوهُم. جميعُ خَيلِ مَركَباتِ فِرعَوْنَ وفُرسانِهِ وجَيشِهِ، وهُم نازِلونَ عِندَ البحرِ عِندَ فمِ الحيروثِ، أمامَ بَعلَ صَفونَ.

فلَمّا اقتَرَبَ فِرعَوْنُ رَفَعَ بَنو إسرائيلَ عُيونَهُمْ، وإذا المِصريّونَ راحِلونَ وراءَهُمْ. ففَزِعوا جِدًّا، وصَرَخَ بَنو إسرائيلَ إلَى الرَّبِّ. وقالوا لموسَى: «هل لأنَّهُ لَيسَتْ قُبورٌ في مِصرَ أخَذتَنا لنَموتَ في البَرّيَّةِ؟ ماذا صَنَعتَ بنا حتَّى أخرَجتَنا مِنْ مِصرَ؟ أليس هذا هو الكلامُ الّذي كلَّمناكَ بِهِ في مِصرَ قائلينَ: كُفَّ عَنّا (اتركنا في حالنا) فنَخدِمَ المِصريّينَ؟ لأنَّهُ خَيرٌ لنا أنْ نَخدِمَ المِصريّينَ مِنْ أنْ نَموتَ في البَرّيَّةِ».

فقالَ موسَى للشَّعبِ: «لا تخافوا. قِفوا وانظُروا خَلاصَ الرَّبِّ الّذي يَصنَعُهُ لكُمُ اليومَ. فإنَّهُ كما رأيتُمُ المِصريّينَ اليومَ، لا تعودونَ ترَوْنَهُمْ أيضًا إلَى الأبدِ. الرَّبُّ يُقاتِلُ عنكُمْ وأنتُمْ تصمُتونَ».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «ما لكَ تصرُخُ إلَيَّ؟ قُلْ لبَني إسرائيلَ أنْ يَرحَلوا. وارفَعْ أنتَ عَصاكَ ومُدَّ يَدَكَ علَى البحرِ وشُقَّهُ، فيَدخُلَ بَنو إسرائيلَ في وسَطِ البحرِ علَى اليابِسَةِ. وها أنا أُشَدِّدُ قُلوبَ المِصريّينَ حتَّى يَدخُلوا وراءَهُمْ، فأتَمَجَّدُ بفِرعَوْنَ وكُلِّ جَيشِهِ، بمَركَباتِهِ وفُرسانِهِ.

فيَعرِفُ المِصريّونَ أنّي أنا الرَّبُّ حينَ أتَمَجَّدُ بفِرعَوْنَ ومَركَباتِهِ وفُرسانِهِ». فانتَقَلَ مَلاكُ اللهِ السّائرُ أمامَ عَسكَرِ إسرائيلَ وسارَ وراءَهُمْ، وانتَقَلَ عَمودُ السَّحابِ مِنْ أمامِهِمْ ووقَفَ وراءَهُمْ. فدَخَلَ بَينَ عَسكَرِ المِصريّينَ وعَسكَرِ إسرائيلَ، وصارَ السَّحابُ والظَّلامُ وأضاءَ اللَّيلَ. فلَمْ يَقتَرِبْ هذا إلَى ذاكَ كُلَّ اللَّيلِ.

ومَدَّ موسَى يَدَهُ علَى البحرِ، فأجرَى الرَّبُّ البحرَ بريحٍ شَرقيَّةٍ شَديدَةٍ كُلَّ اللَّيلِ، وجَعَلَ البحرَ يابِسَةً وانشَقَّ الماءُ. فدَخَلَ بَنو إسرائيلَ في وسَطِ البحرِ علَى اليابِسَةِ، والماءُ سورٌ لهُمْ عن يَمينِهِمْ وعَنْ يَسارِهِمْ.

وتَبِعَهُمُ المِصريّونَ ودَخَلوا وراءَهُمْ. جميعُ خَيلِ فِرعَوْنَ ومَركَباتِهِ وفُرسانِهِ إلَى وسَطِ البحرِ. وكانَ في هَزيعِ الصُّبحِ أنَّ الرَّبَّ أشرَفَ علَى عَسكَرِ المِصريّينَ في عَمودِ النّارِ والسَّحابِ، وأزعَجَ عَسكَرَ المِصريّينَ، وخَلَعَ بَكَرَ (عَجَل) مَركَباتِهِمْ حتَّى ساقوها بثَقَلَةٍ (بصعوبة). فقالَ المِصريّونَ: «نهرُبُ مِنْ إسرائيلَ، لأنَّ الرَّبَّ يُقاتِلُ المِصريّينَ عنهُمْ».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «مُدَّ يَدَكَ علَى البحرِ ليَرجِعَ الماءُ علَى المِصريّينَ، علَى مَركَباتِهِمْ وفُرسانِهِمْ». فمَدَّ موسَى يَدَهُ علَى البحرِ فرَجَعَ البحرُ عِندَ إقبالِ الصُّبحِ إلَى حالِهِ الدّائمَةِ، والمِصريّونَ هارِبونَ إلَى لقائِهِ. فدَفَعَ الرَّبُّ المِصريّينَ في وسَطِ البحرِ. فرَجَعَ الماءُ وغَطَّى

مَركَباتِ وفُرسانَ جميعِ جَيشِ فِرعَوْنَ الّذي دَخَلَ وراءَهُمْ في البحرِ. لَمْ يَبقَ مِنهُمْ ولا واحِدٌ.

وأمّا بَنو إسرائيلَ فمَشَوْا علَى اليابِسَةِ في وسَطِ البحرِ، والماءُ سورٌ لهُمْ عن يَمينِهِمْ وعَنْ يَسارِهِمْ.

هذا الخلاص الإلهي الذي لا يُنسى، أثار إعجاب بني إسرائيل، وتأكدوا من أن الله يهتم بهم جدًا ويرعاهم. لقد انطرحت في البحر خيول الأعداء ومركباتهم الحربية، لذلك احتفل بنو إسرائيل بنجاتهم وأنشدوا ترانيم الفرح.

ثُمَّ ارتَحَلَ موسَى بإسرائيلَ مِنْ بحرِ سوفَ وخرجوا إلَى بَرّيَّةِ شورٍ. فساروا ثَلاثَةَ أيّامٍ في البَرّيَّةِ ولَمْ يَجِدوا ماءً. فجاءوا إلَى مارَّةَ، ولَمْ يَقدِروا أنْ يَشرَبوا ماءً مِنْ مارَّةَ لأنَّهُ مُرٌّ. لذلكَ دُعيَ اسمُها «مارَّةَ». فتذَمَّرَ الشَّعبُ علَى موسَى قائلينَ: «ماذا نَشرَبُ؟».

فصَرَخَ إلَى الرَّبِّ. فأراهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فطَرَحَها في الماءِ فصارَ الماءُ عَذبًا. هناكَ وضَعَ لهُ فريضَةً وحُكمًا، وهناكَ امتَحَنَهُ. فقالَ: «إنْ كُنتَ تسمَعُ لصوتِ الرَّبِّ إلهِكَ، وتَصنَعُ الحَقَّ في عَينَيهِ، وتَصغَى إلَى وصاياهُ وتَحفَظُ جميعَ فرائضِهِ، فمَرَضًا ما مِمّا وضَعتُهُ علَى المِصريّينَ لا أضَعُ علَيكَ. فإنّي أنا الرَّبُّ شافيكَ».

ثُمَّ جاءوا إلَى إيليمَ وهناكَ اثنَتا عَشرَةَ عَينَ ماءٍ وسَبعونَ نَخلَةً. فنَزَلوا هناكَ عِندَ الماءِ.

ثُمَّ ارتَحَلوا مِنْ إيليمَ. وأتَى كُلُّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ إلَى بَرّيَّةِ سينٍ، الّتي بَينَ إيليمَ وسيناءَ في اليومِ الخامِسَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ الثّاني بَعدَ خُروجِهِمْ مِنْ أرضِ مِصرَ. فتذَمَّرَ كُلُّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ علَى موسَى

وهارونَ في البَرّيَّةِ. وقالَ لهُما بَنو إسرائيلَ: «لَيتَنا مُتنا بيَدِ الرَّبِّ في أرضِ مِصرَ، إذ كُنّا جالِسينَ عِندَ قُدورِ اللَّحمِ نأكُلُ خُبزًا للشَّبَعِ. فإنَّكُما أخرَجتُمانا إلَى هذا القَفرِ لكَيْ تُميتا كُلَّ هذا الجُمهورِ بالجوعِ».

فقالَ موسَى وهارونُ لجميعِ بَني إسرائيلَ: «في المساءِ تعلَمونَ أنَّ الرَّبَّ أخرَجَكُمْ مِنْ أرضِ مِصرَ. وفي الصّباحِ ترَوْنَ مَجدَ الرَّبِّ لاستِماعِهِ تذَمُّرَكُمْ علَى الرَّبِّ. وأمّا نَحنُ فماذا حتَّى تتَذَمَّروا علَينا؟». وقالَ موسَى: «ذلكَ بأنَّ الرَّبَّ يُعطيكُمْ في المساءِ لَحمًا لتأكُلوا، وفي الصّباحِ خُبزًا لتَشبَعوا، لاستِماعِ الرَّبِّ تذَمُّرَكُمُ الّذي تتَذَمَّرونَ علَيهِ. وأمّا نَحنُ فماذا؟ ليس علَينا تذَمُّرُكُمْ بل علَى الرَّبِّ».

وقالَ موسَى لهارونَ: «قُلْ لكُلِّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ: اقتَرِبوا إلَى أمامِ الرَّبِّ لأنَّهُ قد سمِعَ تذَمُّرَكُمْ».

فحَدَثَ إذ كانَ هارونُ يُكلِّمُ كُلَّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ أنَّهُمُ التَفَتوا نَحوَ البَرّيَّةِ، وإذا مَجدُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ في السَّحابِ.

فكلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلًا: «سمِعتُ تذَمُّرَ بَني إسرائيلَ. كلِّمهُمْ قائلًا: في العَشيَّةِ تأكُلونَ لَحمًا، وفي الصّباحِ تشبَعونَ خُبزًا، وتَعلَمونَ أنّي أنا الرَّبُّ إلهُكُمْ».

فكانَ في المساءِ أنَّ السَّلوَى (طيور صغيرة) صَعِدَتْ وغَطَّتِ المَحَلَّةَ. وفي الصّباحِ كانَ سقيطُ النَّدَى (الندى المتساقط) حَوالَي المَحَلَّةِ. ولَمّا ارتَفَعَ سقيطُ النَّدَى إذا علَى وجهِ البَرّيَّةِ شَيءٌ دَقيقٌ مِثلُ قُشورٍ. دَقيقٌ كالجَليدِ علَى الأرضِ. فلَمّا رأى بَنو إسرائيلَ قالوا بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «مَنْ هو؟» لأنَّهُمْ لَمْ يَعرِفوا ما هو. فقالَ لهُمْ موسَى: «هو الخُبزُ الّذي أعطاكُمُ الرَّبُّ لتأكُلوا».

أطلق الشعب على هذا الطعام النازل من السماء اسم «مَنًّا»، وهو أبيض يشبه بذر الكزبرة وطعمه مثل رَقاق بالعسل. وكانوا يأخذون كفايتهم منه يومًا بيوم، أما في اليوم السادس من الأسبوع فكانوا يجمعون ما يكفيهم ليومين، لأن المَن لا ينزل في اليوم السابع، لأنه يوم مخصص للراحة والعبادة. وكان من المفترض أن يكون الشعب قد تعلَّم أن الرب يعولهم وسيقودهم للأرض الجديدة. ولكن هذا لم يحدث.

ثُمَّ ارتَحَلَ كُلُّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ مِنْ بَرّيَّةِ سينٍ بحَسَبِ مَراحِلِهِمْ علَى موجِبِ أمرِ الرَّبِّ، ونَزَلوا في رَفيديمَ. ولَمْ يَكُنْ ماءٌ ليَشرَبَ الشَّعبُ. فخاصَمَ الشَّعبُ موسَى وقالوا: «أعطونا ماءً لنَشرَبَ». فقالَ لهُمْ موسَى: «لماذا تُخاصِمونَني؟ لماذا تُجَرِّبونَ الرَّبَّ؟» وعَطِشَ هناكَ الشَّعبُ إلَى الماءِ، وتَذَمَّرَ الشَّعبُ علَى موسَى وقالوا: «لماذا أصعَدتَنا مِنْ مِصرَ لتُميتَنا وأولادَنا ومَواشيَنا بالعَطَشِ؟» فصَرَخَ موسَى إلَى الرَّبِّ قائلًا: «ماذا أفعَلُ بهذا الشَّعبِ؟ بَعدَ قَليلٍ يَرجُمونَني».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «مُرَّ قُدّامَ الشَّعبِ، وخُذْ معكَ مِنْ شُيوخِ إسرائيلَ. وعَصاكَ الّتي ضَرَبتَ بها النَّهرَ خُذها في يَدِكَ واذهَبْ. ها أنا أقِفُ أمامَكَ هناكَ علَى الصَّخرَةِ في حوريبَ، فتضرِبُ الصَّخرَةَ فيَخرُجُ مِنها ماءٌ ليَشرَبَ الشَّعبُ».

ففَعَلَ موسَى هكذا أمامَ عُيونِ شُيوخِ إسرائيلَ. ودَعا اسمَ المَوْضِعِ «مَسَّةَ ومَريبَةَ» مِنْ أجلِ مُخاصَمَةِ بَني إسرائيلَ، ومِنْ أجلِ تجرِبَتِهِمْ للرَّبِّ قائلينَ: «أفي وسَطِنا الرَّبُّ أم لا؟».

٥

وصايا جديدة وعهد جديد

في الشَّهرِ الثّالِثِ بَعدَ خُروجِ بَني إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصرَ، في ذلكَ اليومِ جاءوا إلَى بَرّيَّةِ سيناءَ. ارتَحَلوا مِنْ رَفيديمَ وجاءوا إلَى بَرّيَّةِ سيناءَ فنَزَلوا في البَرّيَّةِ. هناكَ نَزَلَ إسرائيلُ مُقابِلَ الجَبَلِ.

وأمّا موسَى فصَعِدَ إلَى اللهِ. فناداهُ الرَّبُّ مِنَ الجَبَلِ قائلًا: «هكذا تقولُ لبَيتِ يعقوبَ، وتُخبِرُ بَني إسرائيلَ: أنتُمْ رأيتُمْ ما صَنَعتُ بالمِصريّينَ. وأنا حَمَلتُكُمْ علَى أجنِحَةِ النُّسورِ وجِئتُ بكُمْ إلَيَّ. فالآنَ إنْ سمِعتُمْ لصوتي، وحَفِظتُمْ عَهدي تكونونَ لي خاصَّةً مِنْ بَينِ جميعِ الشُّعوبِ. فإنَّ لي كُلَّ الأرضِ. وأنتُمْ تكونونَ لي مَملكَةَ كهَنَةٍ وأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هي الكلِماتُ الّتي تُكلِّمُ بها بَني إسرائيلَ».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «ها أنا آتٍ إلَيكَ في ظَلامِ السَّحابِ لكَيْ يَسمَعَ الشَّعبُ حينَما أتكلَّمُ معكَ، فيؤمِنوا بكَ أيضًا إلَى الأبدِ». وأخبَرَ موسَى الرَّبَّ بكلامِ الشَّعبِ. فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اذهَبْ إلَى الشَّعبِ وقَدِّسهُمُ[1] اليومَ وغَدًا، وليَغسِلوا ثيابَهُمْ، ويكونوا مُستَعِدّينَ لليومِ

---

١ قدسهم: التقديس هو تخصيص الشخص أو الشيء لخدمة الرب.

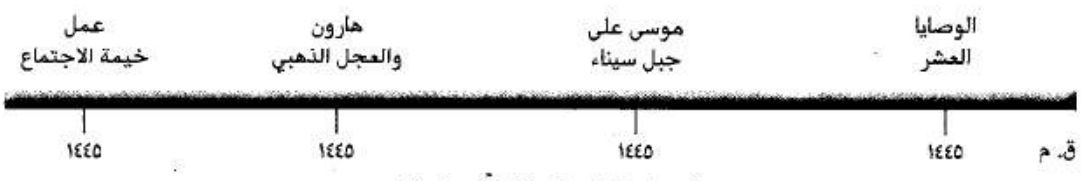

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

الثّالِثِ. لأنَّهُ في اليوم الثّالِثِ يَنزِلُ الرَّبُّ أمامَ عيونِ جميعِ الشَّعبِ علَى جَبَلِ سيناءَ. وتُقيمُ للشعبِ حُدودًا مِنْ كُلِّ ناحيَةٍ، قائلًا: احترِزوا مِنْ أنْ تصعَدوا إلَى الجَبَلِ أو تمَسّوا طَرَفَهُ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الجَبَلَ يُقتَلُ قَتلًا. لا تَمَسُّهُ يَدٌ بل يُرجَمُ رَجمًا أو يُرمَى رَميًا. بَهيمَةً كانَ أم إنسانًا لا يَعيشُ. أمّا عِندَ صوتِ البوقِ فهُم يَصعَدونَ إلَى الجَبَلِ».

فانحَدَرَ موسَى مِنَ الجَبَلِ إلَى الشَّعبِ، وقَدَّسَ الشَّعبَ وغَسَلوا ثيابَهُمْ. وقالَ للشَّعبِ: «كونوا مُستَعِدّينَ لليومِ الثّالِثِ. لا تقرُبوا امرأةً».

وحَدَثَ في اليومِ الثّالِثِ لَمّا كانَ الصّباحُ أنَّهُ صارَتْ رُعودٌ وبُروقٌ وسَحابٌ ثَقيلٌ علَى الجَبَلِ، وصوتُ بوقٍ شَديدٌ جِدًّا. فارتَعَدَ كُلُّ الشَّعبِ الّذي في المَحَلَّةِ. وأخرَجَ موسَى الشَّعبَ مِنَ المَحَلَّةِ لمُلاقاةِ اللهِ، فوَقَفوا في أسفَلِ الجَبَلِ. وكانَ جَبَلُ سيناءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أجل أنَّ الرَّبَّ نَزَلَ علَيهِ بالنّارِ، وصَعِدَ دُخانُهُ كدُخانِ الأتونِ، وارتَجَفَ كُلُّ الجَبَلِ جِدًّا. فكانَ صوتُ البوقِ يَزدادُ اشتِدادًا جِدًّا، وموسَى يتَكلَّمُ واللهُ يُجيبُهُ بصوتٍ.

ونَزلَ الرَّبُّ علَى جَبَلِ سيناءَ، إلَى رأسِ الجَبَلِ، ودَعا اللهُ موسَى إلَى رأسِ الجَبَلِ. فصَعِدَ موسَى. فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «انحَدِرْ حَذِّرِ الشَّعبَ لئلّا يَقتَحِموا إلَى الرَّبِّ ليَنظُروا، فيَسقُطَ مِنهُمْ كثيرونَ. وليَتَقَدَّسْ أيضًا الكهنةُ الّذينَ يَقتَرِبونَ إلَى الرَّبِّ لئلّا يَبطِشَ بهِمِ (يهلكهم) الرَّبُّ».

فقالَ موسَى للرَّبِّ: «لا يَقدِرُ الشَّعبُ أنْ يَصعَدَ إلَى جَبَلِ سيناءَ، لأنَّكَ أنتَ حَذَّرتَنا قائلًا: أقِمْ حُدودًا للجَبَلِ وقَدِّسهُ».

فقالَ لهُ الرَّبُّ: «اذهَبِ انحَدِرْ ثُمَّ اصعَدْ أنتَ وهارونُ معكَ. وأمّا الكهنةُ والشَّعبُ فلا يَقتَحِموا ليَصعَدوا إلَى الرَّبِّ لئلّا يَبطِشَ بهِمْ». فانحَدَرَ موسَى إلَى الشَّعبِ وقالَ لهُمْ.

وكانَ جميعُ الشَّعبِ يَرَوْنَ الرُّعودَ والبُروقَ وصوتَ البوقِ، والجَبَلَ يُدَخِّنُ. ولَمّا رأى الشَّعبُ ارتَعَدوا ووقَفوا مِنْ بَعيدٍ، وقالوا لموسَى: «تكلَّمْ أنتَ معنا فنَسمَعَ. ولا يتَكلَّمْ معنا اللهُ لئَلّا نَموتَ». فقالَ موسَى للشَّعبِ: «لا تخافوا. لأنَّ اللهَ إنَّما جاءَ لكَيْ يَمتَحِنَكُمْ، ولكي تكونَ مَخافتُهُ أمامَ وُجوهِكُمْ حتَّى لا تُخطِئوا». فوَقَفَ الشَّعبُ مِنْ بَعيدٍ، وأمّا موسَى فاقتَرَبَ إلَى الضَّبابِ حَيثُ كانَ اللهُ.

من وسط السحاب الذي غطى جبل سيناء، أعطى الله عشر وصايا لشعبه، أسمى وأروع وصايا عرفتها البشرية. الوصايا الأربع الأولى تحدد علاقة الإنسان بالله، والست وصايا التالية تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

التحرير

«أنا الرَّبُّ إلهُكَ الّذي أخرَجَكَ مِنْ أرضِ مِصرَ مِنْ بَيتِ العُبوديَّةِ.

لا يَكُنْ لكَ آلِهَةٌ أُخرَى أمامي.

لا تصنَعْ لكَ تِمثالًا مَنحوتًا، ولا صورَةً ما مِمّا في السماءِ مِنْ فوقُ، وما في الأرضِ مِنْ تحتُ، وما في الماءِ مِنْ تحتِ الأرضِ. لا تسجُدْ لهُنَّ ولا تعبُدهُنَّ، لأنّي أنا الرَّبَّ إلهَكَ إلهٌ غَيورٌ، أفتَقِدُ ذُنوبَ الآباءِ في الأبناءِ في الجيلِ الثّالِثِ والرّابِعِ مِنْ مُبغِضيَّ، وأصنَعُ إحسانًا إلَى أُلوفٍ مِنْ مُحِبّيَّ وحافِظي وصاياي.

لا تنطِقْ باسم الرَّبِّ إلهِكَ باطِلًا (بدون توقير)، لأنَّ الرَّبَّ لا يُبرِئُ مَنْ نَطقَ باسمِهِ باطِلًا.

اُذكُرْ يومَ السَّبتِ لتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أيّامٍ تعمَلُ وتَصنَعُ جميعَ عَمَلِكَ، وأمّا اليومُ السّابعُ ففيهِ سبتٌ للرَّبِّ إلهِكَ. لا تصنَعْ عَمَلًا مّا أنتَ وابنُكَ وابنَتُكَ وعَبدُكَ وأمَتُكَ وبَهيمَتُكَ ونَزيلُكَ الّذي داخِلَ أبوابِكَ. لأنْ في

سِتَّةِ أيّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السماءَ والأرضَ والبحرَ وكُلَّ ما فيها، واستَراحَ في اليومِ السّابع. لذلكَ بارَكَ الرَّبُّ يومَ السَّبتِ وقَدَّسَهُ.

أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ لكَيْ تطولَ أيّامُكَ علَى الأرضِ الّتي يُعطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ.

لا تقتُلْ.

لا تزنِ.

لا تسرِقْ.

لا تشهَدْ علَى قريبِكَ شَهادَةَ زورٍ.

لا تشتَهِ بَيتَ قريبِكَ. لا تشتَهِ امرأةَ قريبِكَ، ولا عَبدَهُ، ولا أمَتَهُ، ولا ثَوْرَهُ، ولا حِمارَهُ، ولا شَيئًا مِمّا لقريبِكَ».

من الواضح أن موسى كان هو الوسيط بين الله والشعب العبراني. فبعدما استلم الوصايا العشر، تسلَّم أيضًا الأحكام التي في كتاب العهد، والتي تعتبر امتدادًا وشرحًا تفصيليًا لكل أجزاء الوصايا العشر. وهو الآن يقود الشعب لترسيخ عهده مع الله.

فجاءَ موسَى وحَدَّثَ الشَّعبَ بجميعِ أقوالِ الرَّبِّ وجميعِ الأحكام، فأجابَ جميعُ الشَّعبِ بصوتٍ واحِدٍ وقالوا: «كُلُّ الأقوالِ الّتي تكلَّمَ بها الرَّبُّ نَفعَلُ».

فكتَبَ موسَى جميعَ أقوالِ الرَّبِّ. وبَكَّرَ في الصّباحِ وبَنَى مَذبَحًا في أسفَلِ الجَبَلِ، واثنَيْ عشَرَ عَمودًا لأسباطِ إسرائيلَ الإثنَيْ عشَرَ[٢]. وأرسَلَ فِتيانَ بَني إسرائيلَ، فأصعَدوا مُحرَقاتٍ، وذَبَحوا ذَبائحَ سلامَةٍ للرَّبِّ مِنَ الثّيرانِ. فأخَذَ موسَى نِصفَ الدَّمِ ووضَعَهُ في الطُّسوسِ (الأواني

٢ أسباط إسرائيل الاثني عشر: ١٢ مجموعة يمثلوا كل شعب إسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر. وكل مجموعة تعتبر نسل أحد أبناء يعقوب (إسرائيل) الاثني عشر.

الكبيرة). ونِصفَ الدَّمِ رَشَّهُ علَى المَذبَحِ. وأخَذَ كِتابَ العَهدِ وقَرأ في مَسامِعِ الشَّعبِ، فقالوا: «كُلُّ ما تكلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفعَلُ ونَسمَعُ لهُ». وأخَذَ موسَى الدَّمَ ورَشَّ علَى الشَّعبِ وقالَ: «هوذا دَمُ العَهدِ الّذي قَطَعَهُ الرَّبُّ معكُمْ علَى جميعِ هذِهِ الأقوالِ».

وقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اصعَدْ إلَيَّ إلَى الجَبَلِ، وكُنْ هناكَ، فأُعطيَكَ لوحَيِ الحِجارَةِ والشَّريعَةِ والوَصيَّةِ الّتي كتَبتُها لتَعليمِهِمْ».

فصَعِدَ موسَى إلَى الجَبَلِ، فغَطَّى السَّحابُ الجَبَلَ، وحَلَّ مَجدُ الرَّبِّ علَى جَبَلِ سيناءَ، وغَطّاهُ السَّحابُ سِتَّةَ أيّامٍ. وفي اليومِ السّابِعِ دُعيَ موسَى مِنْ وسَطِ السَّحابِ. وكانَ مَنظَرُ مَجدِ الرَّبِّ كنارٍ آكِلَةٍ علَى رأسِ الجَبَلِ أمامَ عُيونِ بَني إسرائيلَ. ودَخَلَ موسَى في وسَطِ السَّحابِ وصَعِدَ إلَى الجَبَلِ. وكانَ موسَى في الجَبَلِ أربَعينَ نهارًا وأربَعينَ ليلَةً.

وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلًا: «كلِّمْ بَني إسرائيلَ أنْ يأخُذوا لي تقدِمَةً. مِنْ كُلِّ مَنْ يَحِثُّهُ قَلبُهُ تأخُذونَ تقدِمَتي.

فيَصنَعونَ لي مَقدِسًا لأسكُنَ في وسَطِهِمْ. بحَسَبِ جميعِ ما أنا أُريكَ مِنْ مِثالِ المَسكَنِ[٣]، ومِثالِ جميعِ آنيَتِهِ هكذا تصنَعونَ.

وبالإضافة إلى الوصايا العشر والأحكام، أعطى الله لموسى أيضًا تعليمات عن كيفية تنظيم العبادة. ومن هذا الوقت والحضور الإلهي أصبح متمثلاً في خيمة الاجتماع، التي فيها تابوت العهد[٤]، الذي بداخله لوحي الشريعة المكتوب عليهما الوصايا العشر.

وخصص الرب مجموعة من الشعب (الكهنة) للخدمة وممارسة طقوس تقديم الذبائح، والاهتمام بأمور العبادة. كما

٣ المسكن: خيمة يمكن حملها ونقلها، وتسمى خيمة الاجتماع، وهي تمثل حلول الله وسكناه وسط شعبه. وقد قام الملك سليمان، في فترة لاحقة، ببناء هيكل دائم ليحل محل خيمة الاجتماع.

٤ تابوت العهد: هو صندوق مصنوع من الخشب المغطى بالذهب، طوله حوالي ١٢٠ سم، وعرضه ٧٥ سم. وبداخله لوحا الوصايا العشر. وكان اليهود يعتبرونه رمز الحضور الإلهي الدائم في وسطهم.

خصص يومًا واحدًا في الأسبوع (يوم السبت) ليكون يوم عبادة للرب، وللراحة من كل تعب العمل.

ظل موسى فوق الجبل لمدة تقترب من ستة أسابيع. في هذه الأثناء كان قد نفد صبر الشعب في أسفل الجبل، مما أدى إلى تصرفهم بطريقة سببت له الكثير من المرارة والغضب عندما نزل إليهم من فوق الجبل.

ولَمّا رأى الشَّعبُ أنَّ موسَى أبطأ في النُّزول مِنَ الجَبَلِ، اجتَمَعَ الشَّعبُ علَى هارونَ وقالوا لهُ: «قُمِ اصنَعْ لنا آلِهَةً[٥] تسيرُ أمامَنا، لأنَّ هذا موسَى الرَّجُلَ الّذي أصعَدَنا مِنْ أرضِ مِصرَ، لا نَعلَمُ ماذا أصابَهُ».

فقالَ لهُمْ هارونُ: «انزِعوا أقراطَ الذَّهَبِ الّتي في آذانِ نِسائكُمْ وبَنيكُمْ وبَناتِكُمْ وآتوني بها». فنَزَعَ كُلُّ الشَّعبِ أقراطَ الذَّهَبِ الّتي في آذانِهِمْ وأتَوْا بها إلَى هارونَ. فأخَذَ ذلكَ مِنْ أيديهِمْ وصَوَّرَهُ بالإزميلِ، وصَنَعَهُ عِجلًا مَسبوكًا. فقالوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يا إسرائيلُ الّتي أصعَدَتكَ مِنْ أرضِ مِصرَ».

فلَمّا نَظَرَ هارونُ بَنَى مَذبَحًا أمامَهُ، ونادَى هارونُ وقالَ: «غَدًا عيدٌ للرَّبِّ». فبَكَّروا في الغَدِ وأصعَدوا مُحرَقاتٍ وقَدَّموا ذَبائحَ سلامَةٍ. وجَلَسَ الشَّعبُ للأكلِ والشُّربِ ثُمَّ قاموا للَّعِبِ.

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اذهَبِ انزِلْ. لأنَّهُ قد فسدَ شَعبُكَ الّذي أصعَدتَهُ مِنْ أرضِ مِصرَ. زاغوا سريعًا عن الطريقِ الّذي أوصَيتُهُمْ بهِ. صَنَعوا لهُمْ عِجلًا مَسبوكًا، وسَجَدوا لهُ وذَبحوا لهُ وقالوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يا إسرائيلُ الّتي أصعَدَتكَ مِنْ أرضِ مِصرَ».

وقالَ الرَّبُّ لموسَى: «رأيتُ هذا الشَّعبَ وإذا هو شَعبٌ صُلبُ الرَّقَبةِ. فالآنَ اترُكني ليَحمَى غَضَبي علَيهِمْ وأُفنيَهُمْ، فأُصَيِّرَكَ شَعبًا عظيمًا».

---

٥ اصنع لنا آلهة: أي اصنع لنا وثنًا أو صنمًا لنعبده. والوثن هو صورة أو تمثال لشيء أو لشخص أو لحيوان أو لأي شيء آخر يعبده الناس بدلاً من الإله الحقيقي.

فتضَرَّعَ موسَى أمامَ الرَّبِّ إلهِهِ، وقالَ: «لماذا يا رَبُّ يَحمَى غَضَبُكَ علَى شَعبِكَ الّذي أخرَجتَهُ مِنْ أرضِ مِصرَ بقوَّةٍ عظيمَةٍ ويَدٍ شَديدَةٍ؟ لماذا يتَكلَّمُ المِصريّونَ قائلينَ: أخرَجَهُمْ بخُبثٍ ليَقتُلَهُمْ في الجِبالِ، ويُفنيَهُمْ عن وجهِ الأرضِ؟ اِرجِعْ عن حُموِّ غَضَبِكَ، واندَمْ علَى الشَّرِّ بشَعبِكَ. أُذكُرْ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيلَ عَبيدَكَ الّذينَ حَلَفتَ لهُمْ بنَفسِكَ وقُلتَ لهُمْ: أُكَثِّرُ نَسلكُمْ كنُجومِ السماءِ، وأُعطي نَسلكُمْ كُلَّ هذِهِ الأرضِ الّتي تكلَّمتُ عنها فيَملِكونَها إلَى الأبدِ». فنَدِمَ الرَّبُّ علَى الشَّرِّ الّذي قالَ إنَّهُ يَفعَلُهُ بشَعبِهِ.

فانصَرَفَ موسَى ونَزَلَ مِنَ الجَبَلِ ولَوْحا الشَّهادَةِ في يَدِهِ: لوحانِ مَكتوبانِ علَى جانِبَيهِما. مِنْ هنا ومِنْ هنا كانا مَكتوبَينِ. واللَّوْحانِ هُما صَنعَةُ اللهِ، والكِتابَةُ كِتابَةُ اللهِ مَنقوشَةٌ علَى اللَّوْحَينِ.

وسَمِعَ يَشوعُ صوتَ الشَّعبِ في هُتافِهِ فقالَ لموسَى: «صوتُ قِتالٍ في المَحَلَّةِ». فقالَ:

«ليس صوتَ صياحِ النُّصرَةِ
ولا صوتَ صياحِ الكَسرَةِ،
بل صوتَ غِناءٍ أنا سامِعٌ».

وكانَ عندما اقتَرَبَ إلَى المَحَلَّةِ أنَّهُ أبصَرَ العِجلَ والرَّقصَ، فحَمِيَ غَضَبُ موسَى، وطَرَحَ اللَّوْحَينِ مِنْ يَدَيهِ وكسَّرَهُما في أسفَلِ الجَبَلِ. ثُمَّ أخَذَ العِجلَ الّذي صَنَعوا وأحرَقَهُ بالنّارِ، وطَحَنَهُ حتَّى صارَ ناعِمًا، وذَرّاهُ علَى وجهِ الماءِ، وسَقَى بَني إسرائيلَ.

وقالَ موسَى لهارونَ: «ماذا صَنَعَ بكَ هذا الشَّعبُ حتَّى جَلَبتَ علَيهِ خَطيَّةً عظيمَةً؟» فقالَ هارونُ: «لا يَحمَ غَضَبُ سيِّدي. أنتَ تعرِفُ الشَّعبَ أنَّهُ في شَرٍّ. فقالوا ليَ: اصنَعْ لنا آلِهَةً تسيرُ أمامَنا، لأنَّ هذا

موسَى الرَّجُلَ الّذي أصعَدَنا مِنْ أرضِ مِصرَ، لا نَعلَمُ ماذا أصابَهُ. فقُلتُ لهُمْ: مَنْ لهُ ذَهَبٌ فليَنزِعهُ ويُعطِني. فطَرَحتُهُ في النّارِ فخرجَ هذا العِجلُ».

ولَمّا رأى موسَى الشَّعبَ أنَّهُ مُعَرًّى (خرج عن السيطرة) لأنَّ هارونَ كانَ قد عَرّاهُ (سمح بذلك) للهُزءِ (للسخرية) بَينَ مُقاوِميهِ (أعدائه)، وقَفَ موسَى في بابِ المَحَلَّةِ، وقالَ: «مَنْ للرَّبِّ فإلَيَّ (فليقبل إليّ)». فاجتَمَعَ إليهِ جميعُ بَني لاوي. فقالَ لهُمْ: «هكذا قالَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: ضَعوا كُلُّ واحِدٍ سيفَهُ علَى فخذِهِ ومُرّوا وارجِعوا مِنْ بابٍ إلَى بابٍ في المَحَلَّةِ، واقتُلوا كُلُّ واحِدٍ أخاهُ وكُلُّ واحِدٍ صاحِبَهُ وكُلُّ واحِدٍ قريبَهُ». ففَعَلَ بَنو لاوي بحَسَبِ قَوْلِ موسَى. ووقَعَ مِنَ الشَّعبِ في ذلكَ اليومِ نَحوُ ثَلاثَةِ آلافِ رَجُلٍ. وقالَ موسَى: «املأوا أيديَكُمُ اليومَ للرَّبِّ، حتَّى كُلُّ واحِدٍ بابنِهِ وبأخيهِ، فيُعطيَكُمُ اليومَ بَرَكَةً».

وكانَ في الغَدِ أنَّ موسَى قالَ للشَّعبِ: «أنتُمْ قد أخطأتُمْ خَطيَّةً عظيمَةً، فأصعَدُ الآنَ إلَى الرَّبِّ لَعَلّي أُكَفِّرُ خَطيَّتَكُمْ».

فرَجَعَ موسَى إلَى الرَّبِّ، وقالَ: «آهِ، قد أخطأَ هذا الشَّعبُ خَطيَّةً عظيمَةً وصَنَعوا لأنفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. والآنَ إنْ غَفَرتَ خَطيَّتَهُمْ، وإلّا فامحُني مِنْ كِتابِكَ الّذي كتَبتَ».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «مَنْ أخطأَ إلَيَّ أمحوهُ مِنْ كِتابي. والآنَ اذهَبِ اهدِ الشَّعبَ إلَى حَيثُ كلَّمتُكَ. هوذا مَلاكي يَسيرُ أمامَكَ. ولكن في يومِ افتِقادي (يوم العقاب) أفتَقِدُ فيهِمْ خَطيَّتَهُمْ». فضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعبَ، لأنَّهُمْ صَنَعوا العِجلَ الّذي صَنَعَهُ هارونُ.

وقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اذهَبِ اصعَدْ مِنْ هنا أنتَ والشَّعبُ الّذي أصعَدتَهُ مِنْ أرضِ مِصرَ إلَى الأرضِ الّتي حَلَفتُ لإبراهيمَ وإسحاقَ

ويعقوبَ قائلًا: لنَسلِكَ أُعطيها. وأنا أُرسِلُ أمامَكَ مَلاكًا، وأطرُدُ الكَنعانيّينَ والأموريّينَ والحِثّيّينَ والفِرِزّيّينَ والحِوّيّينَ واليَبوسيّينَ. إلَى أرضٍ تفيضُ لَبَنًا وعَسَلًا. فإنّي لا أصعَدُ في وسَطِكَ لأنَّكَ شَعبٌ صُلبُ الرَّقَبَةِ، لئَلّا أُفنيَكَ في الطريقِ».

وأخَذَ موسَى الخَيمَةَ ونَصَبَها لهُ خارِجَ المَحَلَّةِ، بَعيدًا عن المَحَلَّةِ، ودَعاها «خَيمَةَ الاِجتِماعِ». فكانَ كُلُّ مَنْ يَطلُبُ الرَّبَّ يَخرُجُ إلَى خَيمَةِ الاِجتِماعِ الّتي خارِجَ المَحَلَّةِ. وكانَ جميعُ الشَّعبِ إذا خرجَ موسَى إلَى الخَيمَةِ يَقومونَ ويَقِفونَ كُلُّ واحِدٍ في بابِ خَيمَتِهِ ويَنظُرونَ وراءَ موسَى حتَّى يَدخُلَ الخَيمَةَ.

وكانَ عَمودُ السَّحابِ إذا دَخَلَ موسَى الخَيمَةَ، يَنزِلُ ويَقِفُ عِندَ بابِ الخَيمَةِ. ويَتَكلَّمُ الرَّبُّ مع موسَى. فيَرَى جميعُ الشَّعبِ عَمودَ السَّحابِ، واقِفًا عِندَ بابِ الخَيمَةِ، ويَقومُ كُلُّ الشَّعبِ ويَسجُدونَ كُلُّ واحِدٍ في بابِ خَيمَتِهِ. ويُكلِّمُ الرَّبُّ موسَى وجهًا لوَجهٍ، كما يُكلِّمُ الرَّجُلُ صاحِبَهُ. وإذا رَجَعَ موسَى إلَى المَحَلَّةِ كانَ خادِمُهُ يَشوعُ بنُ نونَ الغُلامُ، لا يَبرَحُ مِنْ داخِلِ الخَيمَةِ.

وقالَ موسَى للرَّبِّ: «انظُرْ. أنتَ قائلٌ لي: أصعِدْ هذا الشَّعبَ، وأنتَ لَمْ تُعَرِّفني مَنْ تُرسِلُ مَعي. وأنتَ قد قُلتَ: عَرَفتُكَ باسمِكَ، ووجَدتَ أيضًا نِعمَةً في عَينَيَّ. فالآنَ إنْ كُنتُ قد وجَدتُ نِعمَةً في عَينَيكَ فعَلِّمني طريقَكَ حتَّى أعرِفَكَ لكَيْ أجِدَ نِعمَةً في عَينَيكَ. وانظُرْ أنَّ هذِهِ الأُمَّةَ شَعبُكَ». فقالَ: «وجهي يَسيرُ فأُريحُكَ».

فقالَ لهُ: «إنْ لَمْ يَسِرْ وجهُكَ فلا تُصعِدنا مِنْ ههنا، فإنَّهُ بماذا يُعلَمُ أني وجَدتُ نِعمَةً في عَينَيكَ أنا وشَعبُكَ؟ أليس بمَسيرِكَ معنا؟ فنَمتازَ أنا وشَعبُكَ عن جميعِ الشُّعوبِ الّذينَ علَى وجهِ الأرضِ».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «هذا الأمرُ أيضًا الّذي تكلَّمتَ عنهُ أفعَلُهُ، لأنَّكَ وجَدتَ نِعمَةً في عَينَيَّ، وعَرَفتُكَ باسمِكَ».

فقالَ: «أرِني مَجدَكَ». فقالَ: «أُجيزُ كُلَّ جودَتي (أظهر خيراتي وإحساني) قُدّامَكَ. وأُنادي باسمِ الرَّبِّ قُدّامَكَ. وأتَراءَفُ علَى مَنْ أتَراءَفُ، وأرحَمُ مَنْ أرحَمُ». وقالَ: «لا تقدِرُ أنْ ترَى وجهي، لأنَّ الإنسانَ لا يَراني ويَعيشُ». وقالَ الرَّبُّ: «هوذا عِندي مَكانٌ، فتقِفُ علَى الصَّخرَةِ. ويكونُ مَتَى اجتازَ مَجدي، أنّي أضَعُكَ في نُقرَةٍ (حفرة) مِنَ الصَّخرَةِ، وأستُرُكَ بيَدي حتَّى أجتازَ. ثُمَّ أرفَعُ يَدي فتنظُرُ ورائي، وأمّا وجهي فلا يُرَى».

ثُمَّ قالَ الرَّبُّ لموسَى: «انحَتْ لكَ لوحَينِ مِنْ حَجَرٍ مِثلَ الأوَّلَينِ، فأكتُبَ أنا علَى اللَّوْحَينِ الكلِماتِ الّتي كانتْ علَى اللَّوْحَينِ الأوَّلَينِ اللَّذَينِ كسَرتَهُما. وكُنْ مُستَعِدًّا للصّباحِ. واصعَدْ في الصّباحِ إلَى جَبَلِ سيناءَ، وقِفْ عِندي هناكَ علَى رأسِ الجَبَلِ. ولا يَصعَدْ أحَدٌ معكَ، وأيضًا لا يُرَ أحَدٌ في كُلِّ الجَبَلِ. الغَنَمُ أيضًا والبَقَرُ لا ترعَ إلَى جِهَةِ ذلكَ الجَبَلِ».

فنَحَتَ لوحَينِ مِنْ حَجَرٍ كالأوَّلَينِ. وبَكَّرَ موسَى في الصّباحِ وصَعِدَ إلَى جَبَلِ سيناءَ كما أمَرَهُ الرَّبُّ، وأخَذَ في يَدِهِ لوحَي الحَجَرِ.

فنَزَلَ الرَّبُّ في السَّحابِ، فوَقَفَ عِندَهُ هناكَ ونادَى باسمِ الرَّبِّ. فاجتازَ الرَّبُّ قُدّامَهُ، ونادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إلهٌ رحيمٌ ورَؤوفٌ، بَطيءُ الغَضَبِ وكثيرُ الإحسانِ والوَفاءِ. حافِظُ الإحسانِ إلَى أُلوفٍ. غافِرُ الإثمِ والمَعصيَةِ والخَطيَّةِ. ولكنهُ لن يُبرِئَ إبراءً. مُفتَقِدٌ إثمَ الآباءِ في الأبناءِ، وفي أبناءِ الأبناءِ، في الجيلِ الثّالِثِ والرّابعِ».

فأسرَعَ موسَى وخَرَّ إلَى الأرضِ وسَجَدَ. وقالَ: «إنْ وجَدتُ نِعمَةً

في عَينَيكَ أيُّها السَّيِّدُ فليَسِرِ السَّيِّدُ في وسَطِنا، فإنَّهُ شَعبٌ صُلبُ الرَّقَبةِ. واغفِرْ إثمَنا وخَطيَّتنا واتَّخِذنا مُلكًا».

فقالَ: «ها أنا قاطِعٌ عَهدًا. قُدّامَ جميعِ شَعبِكَ أفعَلُ عَجائبَ لَمْ تُخلَقْ في كُلِّ الأرضِ وفي جميعِ الأُمَمِ، فيَرَى جميعُ الشَّعبِ الّذي أنتَ في وسَطِهِ فِعلَ الرَّبِّ. إنَّ الّذي أنا فاعِلُهُ معكَ رَهيبٌ. فإنَّكَ لا تسجُدُ لإلهٍ آخَرَ، لأنَّ الرَّبَّ اسمُهُ غَيورٌ. إلهٌ غَيورٌ هو.

وقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اكتُبْ لنَفسِكَ هذِهِ الكلِماتِ، لأنَّني بحَسَبِ هذِهِ الكلِماتِ قَطَعتُ عَهدًا معكَ ومَعَ إسرائيلَ». وكانَ هناكَ عِندَ الرَّبِّ أربَعينَ نهارًا وأربَعينَ ليلَةً، لَمْ يأكُلْ خُبزًا ولَمْ يَشرَبْ ماءً. فكتَبَ علَى اللَّوْحَينِ كلِماتِ العَهدِ، الكلِماتِ العشَرَ.

وكانَ لَمّا نَزَلَ موسَى مِنْ جَبَلِ سيناءَ ولَوْحا الشَّهادَةِ في يَدِ موسَى، عِندَ نُزولِهِ مِنَ الجَبَلِ، أنَّ موسَى لَمْ يَعلَمْ أنَّ جِلدَ وجهِهِ صارَ يَلمَعُ في كلامِهِ معهُ. فنَظَرَ هارونُ وجميعُ بَني إسرائيلَ موسَى وإذا جِلدُ وجهِهِ يَلمَعُ، فخافوا أنْ يَقتَرِبوا إليهِ. فدَعاهُمْ موسَى. فرَجَعَ إليهِ هارونُ وجميعُ الرّؤَساءِ في الجَماعَةِ، فكلَّمَهُمْ موسَى. وبَعدَ ذلكَ اقتَرَبَ جميعُ بَني إسرائيلَ، فأوصاهُمْ بكُلِّ ما تكلَّمَ بهِ الرَّبُّ معهُ في جَبَلِ سيناءَ.

ولَمّا فرَغَ موسَى مِنَ الكلامِ معهُمْ، جَعَلَ علَى وجهِهِ بُرقُعًا. وكانَ موسَى عِندَ دُخولِهِ أمامَ الرَّبِّ ليَتكلَّمَ معهُ يَنزِعُ البُرقُعَ حتَّى يَخرُجَ، ثُمَّ يَخرُجُ ويُكلِّمُ بَني إسرائيلَ بما يوصَى. فإذا رأى بَنو إسرائيلَ وجهَ موسَى أنَّ جِلدَهُ يَلمَعُ كانَ موسَى يَرُدُّ البُرقُعَ علَى وجهِهِ حتَّى يَدخُلَ ليَتكلَّمَ معهُ.

لقد اختبر موسى محضر الله المهيب، وظهر هذا في جلد وجهه الذي كان يلمع. وقد آن الأوان لكي يختبر الشعب بركة

حضور الرب وحلوله بينهم بسكناه في خيمة الاجتماع. وفي هذه الخيمة المقدسة مكان مخصص لتقديم الذبائح الطقسية، ومكان آخر للاغتسال والتطهير، حسب أمر الله. وقد قام أمهر الصناع بعمل خيمة الاجتماع ومكوناتها، كل منهم حسب تخصصه، سواء في أعمال النجارة أو تشكيل المعادن أو النسيج أو التطريز، لتزيين الخيمة بما فيها المنارة الذهبية ومائدة خبز الوجوه وتابوت العهد، وكان لهذا التابوت ذراعان ليُحمل بهما. وكان التابوت وذراعاه مصنوعين من خشب السنط المغطى بالذهب. وقد قام الصناع بعمل هذه الأشياء بكل تفاصيلها الدقيقة تمامًا حسب أمر الله. واكتمل العمل في خيمة الاجتماع، لكن الأهم ليس ما تحتويه الخيمة من أشياء ثمينة، ولكن مجد الرب الذي يملأ أرجاءها.

ثُمَّ غَطَّتِ السَّحابَةُ خَيمَةَ الِاجتِماعِ ومَلأَ بَهاءُ الرَّبِّ المَسكَنَ. فلَمْ يَقدِرْ موسَى أنْ يَدخُلَ خَيمَةَ الِاجتِماعِ، لأنَّ السَّحابَةَ حَلَّتْ علَيها وبَهاءُ الرَّبِّ مَلأَ المَسكَنَ. وعِندَ ارتِفاعِ السَّحابَةِ عن المَسكَنِ كانَ بَنو إسرائيلَ يَرتَحِلونَ في جميعِ رِحلاتِهِمْ. وإنْ لَمْ ترتَفِعِ السَّحابَةُ لا يَرتَحِلونَ إلَى يومِ ارتِفاعِها، لأنَّ سحابَةَ الرَّبِّ كانتْ علَى المَسكَنِ نهارًا. وكانتْ فيها نارٌ ليلًا أمامَ عُيونِ كُلِّ بَيتِ إسرائيلَ في جميعِ رِحلاتِهِمْ.

لقد أقام بنو إسرائيل خيامهم بالقرب من جبل سيناء، وظلوا هناك لمدة سنة، كان الرب خلالها يعرفهم بشخصه ويعلمهم وصاياه ويطلب منهم «كونوا قديسين لأني أنا قدوس». وطلب الرب من الشعب أن يقدموا الذبائح والتقدمات في خيمة الاجتماع مثل: ذبيحة المحرقة، تقدمة الدقيق، ذبيحة السلامة، ذبيحة الخطية،

ذبيحة الإثم. وتم تكريس كهنة[٦] ليقوموا بتقديم الذبائح الحيوانية للتكفير عن خطايا الشعب.

وأعطى الرب للشعب شرائع للزواج والطلاق، وللتعامل مع الآخرين، وشرائع معاقبة القاتل والسارق، وحماية الأملاك. كان قصد الله من هذه القوانين أن يتعامل الناس معًا بالرفق والرحمة والعدل.

وقد أصبح وعد الله الذي كان لإبراهيم وإسحاق ويعقوب حقيقة واقعة، وعلى الشعب الجديد أن يكون متميزًا عن باقي الشعوب، حتى تراه الأمم المحيطة به وتتعلم منه عبادة الإله الواحد الحقيقي، الذي هو وحده مصدر الحياة والرجاء.

٦ تكريس كهنة: يتم ذلك بصب زيت المسحة على رأس الشخص كعلامة على تقديسه أو تكريسه (تخصيصه) لخدمة الرب. والمسح يمكن أن يتم أيضًا للأشياء، وذلك لتقديسها أو تخصيصها للعبادة. وكلمة "ممسوح" يمكن أن تترجم أيضًا إلى "مسيا" أي "الممسوح من الرب".

٦

الارتحال

وفي السَّنَةِ الثّانيَةِ في الشَّهرِ الثّاني، في العِشرينَ مِنَ الشَّهرِ، ارتَفَعَتِ السَّحابَةُ عن مَسكَنِ الشَّهادَةِ (خيمة الاجتماع). فارتَحَلَ بَنو إسرائيلَ في رِحلاتِهِمْ مِنْ بَرّيَّةِ سيناءَ، فحَلَّتِ السَّحابَةُ في بَرّيَّةِ فارانَ. ارتَحَلوا أوَّلًا حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ عن يَدِ موسَى.

تحرك بنو إسرائيل من منطقة جبل سيناء، بعد أن قضوا سنة كاملة، وكانوا يتحركون في مجموعات منظمة ومرتبة حسب أسباطهم الاثني عشر، المسمّاة بأسماء أبناء يعقوب الاثني عشر.

بعد أن خلصهم الله من عبودية المصريين، وأظهر لهم قوّته وقاد مسيرتهم وأعطاهم وصاياه وباركهم بحضوره في وسطهم، استمر الله في قيادته لهم عن طريق عمود السحاب نهارًا وعمود النار ليلًا. وربما كان من المفترض بعد كل هذا أن يثق بنو إسرائيل في الرب وفي رعايته لهم، ولكنهم كلما واجهتهم مشكلة أو صعوبة كانوا يوجهون اللوم إلى الله.

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

وكانَ الشَّعبُ كأنَّهُمْ يَشتَكونَ شَرًّا (يتذمرون) في أُذُنَيِ الرَّبِّ. وسَمِعَ الرَّبُّ فحَميَ غَضَبُهُ، فاشتَعَلَتْ فيهِمْ نارُ الرَّبِّ وأحرَقَتْ في طَرَفِ المَحَلَّةِ. فصَرَخَ الشَّعبُ إلَى موسَى، فصَلَّى موسَى إلَى الرَّبِّ فخَمَدَتِ النّارُ. فدُعيَ اسمُ ذلكَ المَوْضِعِ «تبعيرَةَ»[1] لأنَّ نارَ الرَّبِّ اشتَعَلَتْ فيهِمْ.

واللَّفيفُ (الغرباء) الّذي في وسَطِهِمِ اشتَهَى شَهوَةً. فعادَ بَنو إسرائيلَ أيضًا وبَكَوْا وقالوا: «مَنْ يُطعِمُنا لَحمًا؟ قد تذَكَّرنا السَّمَكَ الّذي كُنّا نأكُلُهُ في مِصرَ مَجّانًا، والقِثّاءَ والبَطّيخَ والكُرّاثَ والبَصَلَ والثّومَ. والآنَ قد يَبِسَتْ أنفُسُنا. ليس شَيءٌ غَيرَ أنَّ أعيُنَنا إلَى هذا المَنِّ!».

وأمّا المَنُّ فكانَ كبِزرِ الكُزبَرَةِ، ومَنظَرُهُ كمَنظَرِ المُقلِ (اللؤلؤ). كانَ الشَّعبُ يَطوفونَ ليَلتَقِطوهُ، ثُمَّ يَطحَنونَهُ بالرَّحَى أو يَدُقّونَهُ في الهاوَنِ ويَطبُخونَهُ في القُدورِ ويَعمَلونَهُ مَلّاتٍ (خبز). وكانَ طَعمُهُ كطَعمِ قَطائفَ بزَيتٍ. ومَتَى نَزَلَ النَّدَى علَى المَحَلَّةِ ليلًا كانَ يَنزِلُ المَنُّ معهُ.

فلَمّا سمِعَ موسَى الشَّعبَ يَبكونَ بعَشائرِهِمْ (مع عائلاتهم)، كُلَّ واحِدٍ في بابِ خَيمَتِهِ، وحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ جِدًّا، ساءَ ذلكَ في عَينَيْ موسَى. فقالَ موسَى للرَّبِّ: «لماذا أسأتَ إلَى عَبدِكَ؟ ولِماذا لَمْ أجِدْ نِعمَةً في عَينَيكَ حتَّى أنَّكَ وضَعتَ ثِقلَ جميعِ هذا الشَّعبِ علَيَّ؟ ألَعَلّي حَبِلتُ بجميعِ هذا الشَّعبِ؟ أو لَعَلّي ولَدتُهُ، حتَّى تقولَ لي احمِلهُ في حِضنِكَ كما يَحمِلُ المُرَبّي الرَّضيعَ، إلَى الأرضِ الّتي حَلَفتَ لآبائِهِ؟ مِنْ أين لي لَحمٌ حتَّى أُعطيَ جميعَ هذا الشَّعبِ؟ لأنَّهُمْ يَبكونَ علَيَّ قائلينَ: أعطِنا لَحمًا لنأكُلَ. لا أقدِرُ أنا وحدي أنْ أحمِلَ جميعَ هذا الشَّعبِ لأنَّهُ ثَقيلٌ علَيَّ. فإنْ كُنتَ تفعَلُ بي هكذا، فاقتُلني قَتلًا إنْ وجَدتُ نِعمَةً في عَينَيكَ، فلا أرَى بَليَّتي».

---

١ تبعيرة: معناها احتراق أو اشتعال.

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اجمَعْ إلَيَّ سبعينَ رَجُلًا مِنْ شُيوخ إسرائيلَ الّذينَ تعلَمُ أنهُم شُيوخُ الشَّعبِ وعُرَفاؤُهُ، وأقبِلْ بهِمْ إلَى خَيمَةِ الاِجتِماع فيَقِفوا هناكَ معكَ. ولِلشَّعبِ تقولُ: تقَدَّسوا للغَدِ فتأكُلوا لَحمًا، لأنَّكُمْ قد بَكَيتُمْ في أُذُني الرَّبِّ قائلينَ: مَنْ يُطعِمُنا لَحمًا؟ إنَّهُ كانَ لنا خَيرٌ في مِصرَ. فيُعطيكُمُ الرَّبُّ لَحمًا فتأكُلونَ. تأكُلونَ لا يومًا واحِدًا، ولا يومَينِ، ولا خَمسَةَ أيّامٍ، ولا عشَرَةَ أيّامٍ، ولا عِشرينَ يومًا، بل شَهرًا مِنَ الزَّمانِ، حتَّى يَخرُجَ مِنْ مَناخِرِكُمْ، ويَصيرَ لكُمْ كراهَةً، لأنَّكُمْ رَفَضتُمُ الرَّبَّ الّذي في وسَطِكُمْ وبَكَيتُمْ أمامَهُ قائلينَ: لماذا خرجنا مِنْ مِصرَ؟».

فقالَ موسَى: «سِتُّ مِئَةِ ألفِ ماشٍ هو الشَّعبُ الّذي أنا في وسَطِهِ، وأنتَ قد قُلتَ: أُعطيهِمْ لَحمًا ليأكُلوا شَهرًا مِنَ الزَّمانِ. أيُذبَحُ لهُمْ غَنَمٌ وبَقَرٌ ليَكفيَهُم؟ أم يُجمَعُ لهُمْ كُلُّ سمَكِ البحرِ ليَكفيَهُم؟».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «هل تقصُرُ (تعجز) يَدُ الرَّبِّ؟ الآنَ ترَى أيوافيكَ كلامي (هل يتم لك كلامي) أم لا».

فخرجَتْ ريحٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ وساقَتْ سلوَى (طائر السمان) مِنَ البحرِ وألقَتها علَى المَحَلَّةِ، نَحوَ مَسيرَةِ يومٍ (حوالي ٣٠ كيلو مترًا) مِنْ هنا ومَسيرَةِ يومٍ مِنْ هناكَ، حَوالَي المَحَلَّةِ، ونحوَ ذِراعَين (حوالي متر) فوقَ وجهِ الأرضِ. فقامَ الشَّعبُ كُلَّ ذلكَ النَّهارِ، وكُلَّ اللَّيلِ وكُلَّ يومِ الغَدِ وجَمَعوا السَّلوَى. الّذي قَلَّلَ جَمَعَ عشَرَةَ حَوامِرَ (أكياس كبيرة). وسَطَّحوها لهُمْ مَساطِحَ حَوالَي المَحَلَّةِ. وإذ كانَ اللَّحمُ بَعدُ بَينَ أسنانِهِمْ قَبلَ أنْ يَنقَطِعَ، حَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى الشَّعبِ، وضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعبَ ضَربَةً عظيمَةً جِدًّا. فدُعيَ اسمُ ذلكَ المَوْضِعِ «قَبروتَ هَتّاوَةَ»[٢] لأنَّهُمْ هناكَ دَفَنوا القَوْمَ الّذينَ اشتَهَوْا.

التحرير

٢ قبروت هتأوة: معناها مقبرة التأوه أو الشهوة.

بالرغم من أن الله تعامل بقسوة مع ضعف إيمان الشعب، إلا أن هناك مشاكل قد حدثت، وكانت هذه المرة مع إخوة موسى.

وتَكلَّمَتْ مَريَمُ وهارونُ علَى موسَى بسَبَبِ المَرأةِ الكوشيَّةِ الّتي اتَّخَذَها (تزوجها)، لأَنَّهُ كانَ قد اتَّخَذَ امرأةً كوشيَّةً. فقالا: «هل كلَّمَ الرَّبُّ موسَى وحدَهُ؟ ألَمْ يُكلِّمنا نَحنُ أيضًا؟» فسمِعَ الرَّبُّ. وأمّا الرَّجُلُ موسَى فكانَ حَليمًا (وديعًا وصبورًا) جِدًّا أكثَرَ مِنْ جميعِ النّاسِ الّذينَ علَى وجهِ الأرضِ.

فقالَ الرَّبُّ حالًا لموسَى وهارونَ ومَريَمَ: «اخرُجوا أنتُمُ الثَّلاثَةُ إلَى خَيمَةِ الاِجتِماعِ». فخرجوا هُم الثَّلاثَةُ. فنَزلَ الرَّبُّ في عَمودِ سحابٍ ووقَفَ في بابِ الخَيمَةِ، ودَعا هارونَ ومَريَمَ فخرجا كِلاهُما. فقالَ: «اسمَعا كلامي.

إنْ كانَ مِنكُمْ (بينكم) نَبيٌّ[٣] للرَّبِّ،
فبالرّؤيا أستَعلِنُ لهُ.
في الحُلمِ أُكلِّمُهُ.
وأمّا عَبدي موسَى فليس هكذا،
بل هو أمينٌ في كُلِّ بَيتي.
فمًا إلَى فمٍ وعَيانًا أتَكلَّمُ معهُ،
لا بالألغازِ. وشِبهَ الرَّبِّ يُعايِنُ.
فلماذا لا تخشَيانِ أنْ تتَكلَّما علَى عَبدي موسَى؟».

فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَيهِما ومَضَى. فلَمّا ارتَفَعَتِ السَّحابَةُ عن الخَيمَةِ إذا مَريَمُ بَرصاءُ كالثَّلجِ. فالتَفَتَ هارونُ إلَى مَريَمَ وإذا هي بَرصاءُ. فقالَ هارونُ لموسَى: «أسألُكَ يا سيِّدي، لا تجعَلْ علَينا

---

٣ نبي: شخص يختاره الله يكون مسئولاً عن توصيل رسائل مُوحى بها من الله إلى شعبه.

الخَطيَّةَ الّتي حَمِقنا وأخطأنا بها. فلا تكُنْ كالمَيتِ الّذي يكونُ عِندَ خُروجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قد أُكِلَ نِصفُ لَحمِهِ».

فصَرَخَ موسَى إلَى الرَّبِّ قائلًا: «اللَّهُمَّ اشفِها». فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «ولَوْ بَصَقَ أبوها بَصقًا في وجهِها، أما كانتْ تخجَلُ سبعَةَ أيامٍ؟ تُحجَزُ سبعَةَ أيامٍ خارِجَ المَحَلَّةِ، وبَعدَ ذلكَ تُرجَعُ (تشفى)». فحُجِزَتْ مَريَمُ خارِجَ المَحَلَّةِ سبعَةَ أيّامٍ، ولَمْ يَرتَحِلِ الشَّعبُ حتَّى أُرجِعَتْ مَريَمُ. وبَعدَ ذلكَ ارتَحَلَ الشَّعبُ مِنْ حَضَيروتَ ونَزَلوا في بَرّيَّةِ فارانَ.

ثُمَّ كلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلًا: «أرسِلْ رِجالًا ليَتَجَسَّسوا أرضَ كنعانَ الّتي أنا مُعطيها لبَني إسرائيلَ. رَجُلًا واحِدًا لكُلِّ سِبطٍ مِنْ آبائهِ تُرسِلونَ. كُلُّ واحِدٍ رَئيسٌ فيهِمْ (قائد في سبطه)».

فأرسَلهُمْ موسَى ليَتَجَسَّسوا أرضَ كنعانَ، وقالَ لهُمْ: «اصعَدوا مِنْ هنا إلَى الجَنوبِ واطلَعوا إلَى الجَبَلِ، وانظُروا الأرضَ، ما هي: والشَّعبَ السّاكِنَ فيها، أقَويٌّ هو أم ضَعيفٌ؟ قَليلٌ أم كثيرٌ؟ وكيفَ هي الأرضُ الّتي هو ساكِنٌ فيها، أجَيِّدَةٌ أم رَديَّةٌ؟ وما هي المُدُنُ الّتي هو ساكِنٌ فيها، أمُخَيَّماتٌ أم حُصونٌ؟ وكيفَ هي الأرضُ، أسَمينَةٌ أم هَزيلَةٌ؟ أفيها شَجَرٌ أم لا؟ وتَشَدَّدوا فخُذوا مِنْ ثَمَرِ الأرضِ». وأمّا الأيّامُ فكانتْ أيّامَ باكوراتِ العِنَبِ (الأيام الأولى لنضجه).

فصَعِدوا وتَجَسَّسوا الأرضَ مِنْ بَرّيَّةِ صينَ إلَى رَحوبَ في مَدخَلِ حَماةَ. وأتَوْا إلَى وادي أشكولَ، وقَطَفوا مِنْ هناكَ زَرَجونَةً (غصن) بعُنقودٍ واحِدٍ مِنَ العِنَبِ، وحَمَلوهُ بالدُّقرانَةِ (عصا) بَينَ اثنَينِ، مع شَيءٍ مِنَ الرُّمّانِ والتّينِ. ثُمَّ رَجَعوا مِنْ تجَسُّسِ الأرضِ بَعدَ أربَعينَ يومًا.

فساروا حتَّى أتَوْا إلَى موسَى وهارونَ وكُلِّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ، إلَى بَرّيَّةِ فارانَ، إلَى قادَشَ، ورَدّوا إليهِما خَبَرًا وإلَى كُلِّ الجَماعَةِ

وأرَوْهُمْ ثَمَرَ الأرضِ. وأخبَروهُ وقالوا: «قد ذَهَبنا إلَى الأرضِ الّتي أرسَلتَنا إليها، وحَقًّا إنَّها تفيضُ لَبَنًا وعَسَلًا، وهذا ثَمَرُها. غَيرَ أنَّ الشَّعبَ السّاكِنَ في الأرضِ مُعتزٌّ (قوي)، والمُدُنُ حَصينةٌ عظيمَةٌ جِدًّا. وأيضًا قد رأينا بَني عَناقَ (رجال طوال القامة وأجسامهم قوية) هناكَ.

لكن كالِبُ أنصَتَ الشَّعبَ إلَى موسَى وقالَ: «إنَّنا نَصعَدُ ونَمتَلِكُها لأنَّنا قادِرونَ علَيها».

وأمّا الرِّجالُ الّذينَ صَعِدوا معهُ فقالوا: «لا نَقدِرْ أنْ نَصعَدَ إلَى الشَّعبِ، لأنَّهُمْ أشَدُّ مِنّا». فأشاعوا مَذَمَّةَ (كلام يُضعف العزيمة) الأرضِ الّتي تجَسَّسوها، في بَني إسرائيلَ قائلينَ: «الأرضُ الّتي مَرَرنا فيها لنَتَجَسَّسَها هي أرضٌ تأكُلُ سُكّانَها، وجميعُ الشَّعبِ الّذي رأينا فيها أُناسٌ طِوالُ القامَةِ. وقَدْ رأينا هناكَ الجَبابِرَةَ، بَني عَناقٍ مِنَ الجَبابِرَةِ. فكُنّا في أعيُنِنا كالجَرادِ، وهكذا كُنّا في أعيُنِهِمْ».

فرَفَعَتْ كُلُّ الجَماعَةِ صوتَها وصَرَخَتْ، وبَكَى الشَّعبُ تِلكَ اللَّيلَةَ. وتَذَمَّرَ علَى موسَى وعلَى هارونَ جميعُ بَني إسرائيلَ، وقالَ لهُما كُلُّ الجَماعَةِ: «لَيتَنا مُتنا في أرضِ مِصرَ، أو لَيتَنا مُتنا في هذا القَفرِ! ولِماذا أتَى بنا الرَّبُّ إلَى هذِهِ الأرضِ لنَسقُطَ بالسَّيفِ؟ تصيرُ نِساؤُنا وأطفالُنا غَنيمَةً. أليس خَيرًا لنا أنْ نَرجِعَ إلَى مِصرَ؟» فقالَ بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «نُقيمُ رَئيسًا (بخلاف موسى) ونَرجِعُ إلَى مِصرَ».

فسقَطَ موسَى وهارونُ علَى وجهَيهِما أمامَ كُلِّ مَعشَرِ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ. ويَشوعُ بنُ نونَ وكالِبُ بنُ يَفُنَّةَ، مِنَ الّذينَ تجَسَّسوا الأرضَ، مَزَّقا ثيابَهُما وكلَّما كُلَّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ قائلَينِ: «الأرضُ الّتي مَرَرنا فيها لنَتَجَسَّسَها الأرضُ جَيِّدَةٌ جِدًّا جِدًّا. إنْ سُرَّ بنا الرَّبُّ يُدخِلنا إلَى هذِهِ الأرضِ ويُعطينا إيّاها، أرضًا تفيضُ لَبَنًا وعَسَلًا. إنَّما لا تتَمَرَّدوا

على الرَّبِّ، ولا تخافوا مِنْ شَعبِ الأرضِ لأنَّهُمْ خُبزُنا (نستطيع ان نلتهمهم). قد زالَ عنهُمْ ظِلُّهُمْ (الحماية)، والرَّبُّ معنا. لا تخافوهُم».

ولكن قالَ كُلُّ الجَماعَةِ أنْ يُرجَما بالحِجارَةِ. ثُمَّ ظَهَرَ مَجدُ الرَّبِّ في خَيمَةِ الاِجتِماع لكُلِّ بَني إسرائيلَ. وقالَ الرَّبُّ لموسَى: «حتَّى مَتَى يُهينُني هذا الشَّعبُ؟ وحتَّى مَتَى لا يُصَدِّقونَني بجميعِ الآياتِ الّتي عَمِلتُ في وسَطِهِم؟ إنّي أضرِبُهُمْ بالوَبإ وأُبيدُهُمْ، وأُصَيِّرُكَ شَعبًا أكبَرَ وأعظَمَ مِنهُمْ».

فقالَ موسَى للرَّبِّ: «فيَسمَعُ المِصريّونَ الّذينَ أصعَدتَ بقوَّتِكَ هذا الشَّعبَ مِنْ وسَطِهِمْ، ويقولونَ لسُكّانِ هذِهِ الأرضِ الّذينَ قد سمِعوا أنَّكَ يا رَبُّ في وسَطِ هذا الشَّعبِ، الّذينَ أنتَ يا رَبُّ قد ظَهَرتَ لهُمْ عَينًا لعَينٍ، وسَحابَتُكَ واقِفَةٌ علَيهِمْ، وأنتَ سائرٌ أمامَهُمْ بعَمودِ سحابٍ نهارًا وبعَمودِ نارٍ ليلًا. فإنْ قَتلتَ هذا الشَّعبَ كرَجُلٍ واحِدٍ (دفعة واحدة)، يتكلَّمُ الشُّعوبُ الّذينَ سمِعوا بخَبَرِكَ قائلينَ: لأنَّ الرَّبَّ لَمْ يَقدِرْ أنْ يُدخِلَ هذا الشَّعبَ إلَى الأرضِ الّتي حَلَفَ لهُمْ، قَتلهُمْ في القَفرِ.

فالآنَ لتَعظُمْ قُدرَةُ سيِّدي كما تكلَّمتَ قائلًا: الرَّبُّ طَويلُ الرّوحِ كثيرُ الإحسانِ، يَغفِرُ الذَّنبَ والسَّيِّئَةَ، لكنهُ لا يُبرِئُ. بل يَجعَلُ ذَنبَ الآباءِ علَى الأبناءِ إلَى الجيلِ الثّالِثِ والرّابعِ. اِصفَحْ عن ذَنبِ هذا الشَّعبِ كعَظَمَةِ نِعمَتِكَ، وكما غَفَرتَ لهذا الشَّعبِ مِنْ مِصرَ إلَى ههنا».

فقالَ الرَّبُّ: «قد صَفَحتُ حَسَبَ قَوْلِكَ. ولكن حَيٌّ أنا فتُملأُ كُلُّ الأرضِ مِنْ مَجدِ الرَّبِّ، إنَّ جميعَ الرِّجالِ الّذينَ رأوا مَجدي وآياتي الّتي عَمِلتُها في مِصرَ وفي البَرّيَّةِ، وجَرَّبوني الآنَ عشَرَ مَرّاتٍ، ولَمْ يَسمَعوا لقَوْلي، لن يَرَوْا الأرضَ الّتي حَلَفتُ لآبائِهِمْ. وجميعُ الّذينَ أهانوني لا يَرَوْنَها. وأمّا عَبدي كالِبُ فمِنْ أجلِ أنَّهُ كانتْ معهُ روحٌ

أُخرَى (مختلفة)، وقَدِ اتَّبعَني تمامًا، أُدخِلُهُ إلَى الأرضِ الّتي ذَهَبَ إليها، وزَرعُهُ (نسله) يَرِثُها. وإذ العَمالِقَةُ والكَنعانيّونَ ساكِنونَ في الوادي، فانصَرِفوا غَدًا وارتَحِلوا إلَى القَفرِ في طريقِ بحرِ سوفَ».

وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى وهارونَ قائلًا: «حتَّى مَتَى أغفِرُ لهذِهِ الجَماعَةِ الشِّرّيرَةِ المُتَذَمِّرَةِ عليَّ؟ قد سمِعتُ تذَمُّرَ بَني إسرائيلَ الّذي يتَذَمَّرونَهُ عليَّ. قُلْ لهُمْ: حَيٌّ أنا يقولُ الرَّبُّ، لأفعَلَنَّ بكُمْ كما تكلَّمتُمْ في أُذُنيَّ. في هذا القَفرِ تسقُطُ جُثَثُكُمْ، جميعُ المَعدودينَ مِنكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابنِ عِشرينَ سنَةً فصاعِدًا الّذينَ تذَمَّروا عليَّ. لن تدخُلوا الأرضَ الّتي رَفَعتُ يَدي لأُسكِنَنَّكُمْ فيها، ما عَدا كالِبَ بنَ يَفُنَّةَ ويَشوعَ بنَ نونٍ. وأمّا أطفالُكُمُ الّذينَ قُلتُمْ يكونونَ غَنيمَةً فإنّي سأُدخِلُهُمْ، فيَعرِفونَ الأرضَ الّتي احتَقَرتُموها. فجُثَثُكُمْ أنتُمْ تسقُطُ في هذا القَفرِ، وبَنوكُمْ يكونونَ رُعاةً في القَفرِ أربَعينَ سنَةً، ويَحمِلونَ فُجورَكُمْ حتَّى تفنَى جُثَثُكُمْ في القَفرِ. كعَدَدِ الأيّامِ الّتي تجَسَّستُمْ فيها الأرضَ أربَعينَ يومًا، للسَّنَةِ يومٌ. تحمِلونَ ذُنوبَكُمْ أربَعينَ سنَةً فتعرِفونَ ابتِعادي (عاقبة الابتعاد عني). أنا الرَّبُّ قد تكلَّمتُ. لأفعَلَنَّ هذا بكُلِّ هذِهِ الجَماعَةِ الشِّرّيرَةِ المُتَّفِقَةِ عليَّ (التي تمردت عليّ). في هذا القَفرِ يَفنَوْنَ، وفيهِ يَموتونَ».

لم يتعلم العبرانيون الدرس، إذ استمروا في تذمرهم وشكواهم وتآمرهم وعدم إيمانهم. فلهذا أعلن الرب لهم أنهم سيتيهون في البرية، حتى يموت كل مَن بلغ عشرين عامًا فأكثر.

وبعد ٤٠ سنة من التيه عاد الشعب إلى قادش، إلى نفس المكان الذي تذمروا فيه حين عاد الجواسيس من كنعان. والآن أصبحت أرض الموعد أمامهم، وقد مات مَن عمره يزيد عن ٢٠ عامًا وقت العصيان. ولكن ما يدعو للأسف هو أن سلوك الجيل الجديد لم يختلف عن سلوك الجيل الذي سبقه.

وأتَى بَنو إسرائيلَ، الجَماعَةُ كُلُّها، إلَى بَرّيَّةِ صينَ في الشَّهرِ الأوَّلِ (من السنة الأربعين لخروجهم من مصر). وأقامَ الشَّعبُ في قادَشَ. وماتَتْ هناكَ مَريَمُ ودُفِنَتْ هناكَ.

ولَمْ يَكُنْ ماءٌ للجَماعَةِ فاجتَمَعوا (تذمروا) علَى موسَى وهارونَ. وخاصَمَ الشَّعبُ موسَى وكلَّموهُ قائلينَ: «لَيتَنا فنينا فناءَ (موت) إخوَتِنا أمامَ الرَّبِّ. لماذا أتَيتُما بجَماعَةِ الرَّبِّ إلَى هذِهِ البَرّيَّةِ لكَيْ نَموتَ فيها نَحنُ ومَواشينا؟ ولِماذا أصعَدتُمانا مِنْ مِصرَ لتأتيا بنا إلَى هذا المَكانِ الرَّديءِ؟ ليس هو مَكانَ زَرعٍ وتينٍ وكرمٍ ورُمّانٍ، ولا فيهِ ماءٌ للشُّربِ!».

فأتَى موسَى وهارونُ مِنْ أمامِ الجَماعَةِ إلَى بابِ خَيمَةِ الإجتِماعِ وسَقَطا علَى وجهَيهِما، فتراءَى لهُما مَجدُ الرَّبِّ. وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلاً: «خُذِ العَصا واجمَعِ الجَماعَةَ أنتَ وهارونُ أخوكَ، وكلِّما الصَّخرَةَ أمامَ أعيُنِهِمْ أنْ تُعطيَ ماءَها، فتُخرِجُ لهُمْ ماءً مِنَ الصَّخرَةِ وتَسقي الجَماعَةَ ومَواشيَهُمْ».

فأخَذَ موسَى العَصا مِنْ أمامِ الرَّبِّ كما أمَرَهُ، وجَمَعَ موسَى وهارونُ الجُمهورَ أمامَ الصَّخرَةِ، فقالَ لهُمُ: «اسمَعوا أيُّها المَرَدَةُ (المتمردون)، أمِنْ هذِهِ الصَّخرَةِ نُخرِجُ لكُمْ ماءً؟». ورَفَعَ موسَى يَدَهُ وضَرَبَ الصَّخرَةَ بعَصاهُ مَرَّتَينِ، فخرجَ ماءٌ غَزيرٌ، فشَرِبَتِ الجَماعَةُ ومَواشيها.

فقالَ الرَّبُّ لموسَى وهارونَ: «مِنْ أجلِ أنَّكُما لَمْ تؤمِنا بي حتَّى تُقَدِّساني أمامَ أعيُنِ بَني إسرائيلَ، لذلكَ لا تُدخِلانِ هذِهِ الجَماعَةَ إلَى الأرضِ الّتي أعطَيتُهُمْ إيّاها».

هذا ماءُ مَريبَةَ (مخاصمة)، حَيثُ خاصَمَ بَنو إسرائيلَ الرَّبَّ، فتقَدَّسَ فيهِمْ.

كل مشاعر الإحباط والغضب التي تراكمت عند موسى طوال فترة الأربعين سنة الماضية، ظهرت عند وقوفه أمام الصخرة، فبركان الغضب الذي بداخله جعله يضرب الصخرة بعنف مرتين بدلاً من أن يكلمها كما أمره الله. وبهذا أظهر هو وهارون عدم ثقتهما في كلام الله ولم يُظهرا له الاحترام اللائق أمام الجماعة. وكانت عاقبة ذلك أن كلاهما حُرم من دخول أرض الموعد.

وواصل الشعب الترحال في طريقهم إلى كنعان حتى وصلوا إلى حدود بلاد الأدوميين، الذين بمثابة أولاد العم (من نسل عيسو «أدوم» أخو يعقوب)، وطلبوا من الأدوميين أن يسمحوا لهم بالمرور في أرضهم ولكن ملكهم رفض، بل وجهز جيشًا قويًا لمنعهم من محاولة المرور في أرضهم. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ كانت هناك مفاجأة أخرى حزينة تنتظرهم مما زاد من إحباطهم.

فارتَحَلَ بَنو إسرائيلَ، الجَماعَةُ كُلُّها، مِنْ قادَشَ وأتَوْا إلَى جَبَلِ هورٍ. وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى وهارونَ في جَبَلِ هورٍ علَى تُخُمِ أرضِ أدومَ قائلًا: «يُضَمُّ هارونُ إلَى قَوْمِهِ (يموت) لأنَّهُ لا يَدخُلُ الأرضَ الّتي أعطَيتُ لبَني إسرائيلَ، لأنَّكُمْ عَصَيتُمْ قَوْلي عِندَ ماءِ مَريبَةَ. خُذْ هارونَ وألِعازارَ ابنَهُ واصعَدْ بِهما إلَى جَبَلِ هورٍ، واخلَعْ عن هارونَ ثيابَهُ، وألبِسْ ألِعازارَ ابنَهُ إيّاها. فيُضَمُّ هارونُ ويَموتُ هناكَ».

ففَعَلَ موسَى كما أمَرَ الرَّبُّ، وصَعِدوا إلَى جَبَلِ هورٍ أمامَ أعيُنِ كُلِّ الجَماعَةِ. فخَلَعَ موسَى عن هارونَ ثيابَهُ وألبَسَ ألِعازارَ ابنَهُ إيّاها. فماتَ هارونُ هناكَ علَى رأسِ الجَبَلِ، ثُمَّ انحَدَرَ موسَى وألِعازارُ عن الجَبَلِ. فلَمّا رأى كُلُّ الجَماعَةِ أنَّ هارونَ قد ماتَ، بَكَى جميعُ بَيتِ إسرائيلَ علَى هارونَ ثَلاثينَ يومًا.

ولَمّا سمِعَ الكَنعانيُّ مَلِكُ عَرادَ السّاكِنُ في الجَنوبِ أنَّ إسرائيلَ

جاءَ في طريقِ أتاريمَ، حارَبَ إسرائيلَ وسَبَى (أسر) مِنهُمْ سبيًا. فنَذَرَ إسرائيلُ نَذرًا للرَّبِّ وقالَ: «إنْ دَفَعتَ هؤُلاءِ القَوْمَ إلَى يَدي أُحَرِّمُ (أدمر) مُدُنَهُمْ». فسمِعَ الرَّبُّ لقَوْلِ إسرائيلَ، ودَفَعَ الكَنعانيّينَ، فحَرَّموهُم ومُدُنَهُمْ. فدُعيَ اسمُ المَكانِ «حُرمَةَ[٤]».

وارتَحَلوا مِنْ جَبَلِ هورٍ في طريقِ بحرِ سوفٍ ليَدوروا بأرضِ أدومَ، فضاقَتْ نَفسُ الشَّعبِ في الطريقِ. وتكلَّمَ الشَّعبُ علَى اللهِ وعلَى موسَى قائلينَ: «لماذا أصعَدتُمانا مِنْ مِصرَ لنَموتَ في البَرّيَّةِ؟ لأنَّهُ لا خُبزَ ولا ماءَ، وقَدْ كرِهَتْ أنفُسُنا الطَّعامَ السَّخيفَ».

فأرسَلَ الرَّبُّ علَى الشَّعبِ الحَيّاتِ المُحرِقَةَ (الثعابين السامة)، فلَدَغَتِ الشَّعبَ، فماتَ قَوْمٌ كثيرونَ مِنْ إسرائيلَ. فأتَى الشَّعبُ إلَى موسَى وقالوا: «قد أخطأنا إذ تكلَّمنا علَى الرَّبِّ وعلَيكَ، فصَلِّ إلَى الرَّبِّ ليَرفَعَ عَنّا الحَيّاتِ». فصَلَّى موسَى لأجلِ الشَّعبِ.

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اصنَعْ لكَ حَيَّةً مُحرِقَةً وضَعها علَى رايَةٍ، فكُلُّ مَنْ لُدِغَ ونَظَرَ إليها يَحيا». فصَنَعَ موسَى حَيَّةً مِنْ نُحاسٍ ووضَعَها علَى الرّايَةِ، فكانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إنسانًا ونَظَرَ إلَى حَيَّةِ النُّحاسِ يَحيا.

وارتحل الشعب في البرية حتى وصلوا إلى حدود بلاد الأموريين.
وطلبوا منهم المرور في أرضهم مثلما طلبوا من أدوم.

وأرسَلَ إسرائيلُ رُسُلًا إلَى سيحونَ مَلِكِ الأموريّينَ قائلًا: «دَعني أمُرَّ في أرضِكَ. لا نَميلُ إلَى حَقلٍ ولا إلَى كرمٍ ولا نَشرَبُ ماءَ بئرٍ. في طريقِ المَلِكِ نَمشي حتَّى نَتَجاوَزَ تُخومَكَ».

فلَمْ يَسمَحْ سيحونُ لإسرائيلَ بالمُرورِ في تُخومِهِ، بل جَمَعَ

٤ حرمة: تدمير.

سيحونُ جميعَ قَوْمِهِ وخرجَ لِلقاءِ إسرائيلَ إلَى البَرّيَّةِ، فأتَى إلَى ياهَصَ وحارَبَ إسرائيلَ. فضَرَبَهُ إسرائيلُ بحَدِّ السَّيفِ ومَلكَ أرضَهُ مِنْ أرنونَ إلَى يَبّوقَ إلَى بَني عَمّونَ. لأنَّ تُخُمَ بَني عَمّونَ كانَ قَويًّا. فأخَذَ إسرائيلُ كُلَّ هذِهِ المُدُنِ، وأقامَ إسرائيلُ في جميعِ مُدُنِ الأموريّينَ في حَشبونَ وفي كُلِّ قُراها. لأنَّ حَشبونَ كانتْ مدينةَ سيحونَ مَلِكِ الأموريّينَ، وكانَ قد حارَبَ مَلِكَ موآبَ الأوَّلَ (السابق) وأخَذَ كُلَّ أرضِهِ مِنْ يَدِهِ حتَّى أرنونَ.

فأقامَ إسرائيلُ في أرضِ الأموريّينَ. وأرسَلَ موسَى ليَتَجَسَّسَ يَعزيرَ، فأخَذوا قُراها وطَرَدوا الأموريّينَ الّذينَ هناكَ. ثُمَّ تحَوَّلوا وصَعِدوا في طريقِ باشانَ. فخرجَ عوجُ مَلِكُ باشانَ لِلقائِهِمْ هو وجميعُ قَوْمِهِ إلَى الحَربِ في إذرَعي.

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «لا تخَفْ مِنهُ لأنّي قد دَفَعتُهُ إلَى يَدِكَ مع جميعِ قَوْمِهِ وأرضِهِ، فتفعَلُ بِهِ كما فعَلتَ بسيحونَ مَلِكِ الأموريّينَ السّاكِنِ في حَشبونَ». فضَرَبوهُ وبَنيهِ وجميعَ قَوْمِهِ حتَّى لَمْ يَبقَ لهُ شارِدٌ (لم يفلت أحد)، ومَلكوا أرضَهُ.

بعدما رأى ملوك البلاد المجاورة الانتصارات التي حققها الإسرائيليون أصابتهم الرهبة من قوة إسرائيل. لذلك قام بالاق ملك موآب باستدعاء بلعام العراف لكي يلعن بني إسرائيل، ووعده بإعطائه ثروة كبيرة إذا نجح في جعل لعنته تصيب الإسرائيليين، ولكن الله منع بلعام. وأصبح بلعام في حيرة كبيرة، فركب حماره لكي يتوجه إلى موآب، ولكن الحمار رفض أن يتحرك. فضرب بلعام الحمار عدة مرات دون جدوى، وأخيرًا نطق الحمار وتكلم معترضًا على سوء معاملة بلعام له، وسأله الحمار إن كان قد تعود أن يفعل به أمرًا كهذا من قبل، فنفى بلعام. وهنا كشف الله عن عينيّ بلعام،

فرأى ملاك الرب ممسكًا سيفه وواقفًا في الطريق أمامه، وأمره الملاك أن يخبر بالاق بما يقوله الرب. فذهب لبالاق وقال بلعام إن الرب يريده أن يبارك إسرائيل لا أن يلعنه، وأن اللعنة ستكون من نصيب بالاق. من هذا الوقت بدأت بنات موآب يدمرن شعب إسرائيل بطريقة تفوق ما يمكن أن يعمله جيش موآب.

وأقامَ إسرائيلُ في شِطّيمَ، وابتَدأَ الشَّعبُ يَزنونَ مع بَناتِ موآبَ. فدَعَوْنَ الشَّعبَ إلَى ذَبائحِ آلِهَتِهِنَّ، فأكلَ الشَّعبُ وسَجَدوا لآلِهَتِهِنَّ. وتَعَلَّقَ إسرائيلُ ببَعلِ فغورَ. فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى إسرائيلَ. فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «خُذْ جميعَ رؤوسِ الشَّعبِ (رؤساءه) وعَلِّقهُمْ (اقتلهم وعلق جثة كل منهم على خشبة) للرَّبِّ مُقابِلَ الشَّمسِ، فيَرتَدَّ حُموُّ غَضَبِ الرَّبِّ عن إسرائيلَ».

فقالَ موسَى لقُضاةِ[٥] إسرائيلَ: «اقتُلوا كُلُّ واحِدٍ قَوْمَهُ المُتَعَلِّقينَ ببَعلِ فغورَ».

وإذا رَجُلٌ مِنْ بَني إسرائيلَ جاءَ وقَدَّمَ إلَى إخوَتِهِ المِديانيَّةَ، أمامَ عَينَيْ موسَى وأعيُنِ كُلِّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ، وهُم باكونَ لَدَى بابِ خَيمَةِ الاِجتِماعِ. فلَمّا رأى ذلكَ فينحاسُ بنُ ألِعازارَ بنِ هارونَ الكاهِنِ، قامَ مِنْ وسَطِ الجَماعَةِ وأخَذَ رُمحًا بيَدِهِ، ودَخَلَ وراءَ الرَّجُلِ الإسرائيليِّ إلَى القُبَّةِ (الخيمة) وطَعَنَ كِلَيهِما، الرَّجُلَ الإسرائيليَّ والمَرأةَ في بَطنِها. فامتَنَعَ الوَبأُ عن بَني إسرائيلَ. وكانَ الّذينَ ماتوا بالوَبإ أربَعَةً وعِشرينَ ألفًا.

فكلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلًا: «فينحاسُ بنُ ألِعازارَ بنِ هارونَ الكاهِنِ قد رَدَّ سخَطي (حول غضبي) عن بَني إسرائيلَ بكَوْنِهِ غارَ غَيرَتي في

٥ قضاة: قادة من الشعب ونواب لهم.

وسَطِهِمْ حتَّى لَمْ أُفنِ بَني إسرائيلَ بغَيرَتي. لذلكَ قُلْ: هأنَذا أُعطيهِ ميثاقي ميثاقَ السَّلام، فيكونُ لهُ ولِنَسلِهِ مِنْ بَعدِهِ ميثاقَ كهَنوتٍ أبديٍّ، لأجلِ أنَّهُ غارَ للهِ وكفَّرَ عن بَني إسرائيلَ».

اقترب موعد دخول أرض كنعان، فقام موسى بعمل إحصاء لمعرفة عدد شعب بني إسرائيل الباقين بعد أن مات كل الجيل السابق. ولكن موسى نفسه كان عليه إدراك واقع مؤلم.

وقالَ الرَّبُّ لموسَى: «اصعَدْ إلَى جَبَلِ عَباريمَ هذا وانظُرِ الأرضَ الّتي أعطَيتُ بَني إسرائيلَ. ومَتَى نَظَرتَها، تُضَمُّ إلَى قَوْمِكَ (تموت) أنتَ أيضًا كما ضُمَّ هارونُ أخوكَ. لأنَّكُما في بَرّيَّةِ صينَ، عِندَ مُخاصَمَةِ الجَماعَةِ، عَصَيتُما قَوْلي أنْ تُقَدِّساني بالماءِ أمامَ أعيُنِهِمْ». ذلكَ ماءُ مَريبَةِ قادَشَ في بَرّيَّةِ صينَ.

فكلَّمَ موسَى الرَّبَّ قائلًا: «ليوَكِّلِ الرَّبُّ إلهُ أرواحِ جميعِ البَشَرِ رَجُلًا علَى الجَماعَةِ، يَخرُجُ أمامَهُمْ ويَدخُلُ أمامَهُمْ ويُخرِجُهُمْ ويُدخِلُهُمْ، لكَيلا تكونَ جَماعَةُ الرَّبِّ كالغَنَمِ الّتي لا راعيَ لها».

فقالَ الرَّبُّ لموسَى: «خُذْ يَشوعَ بنَ نونَ، رَجُلًا فيهِ روحٌ، وضَعْ يَدَكَ علَيهِ، وأوقِفهُ قُدّامَ ألِعازارَ الكاهِنِ وقُدّامَ كُلِّ الجَماعَةِ، وأوصِهِ أمامَ أعيُنِهِمْ. واجعَلْ مِنْ هَيبَتِكَ علَيهِ لكَيْ يَسمَعَ لهُ كُلُّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ، ففَعَلَ موسَى كما أمَرَهُ الرَّبُّ. أخَذَ يَشوعَ وأوقَفَهُ قُدّامَ ألِعازارَ الكاهِنِ وقُدّامَ كُلِّ الجَماعَةِ، ووضَعَ يَدَيهِ علَيهِ وأوصاهُ كما تكلَّمَ الرَّبُّ عن يَدِ موسَى.

كان على موسى ترتيب بعض الأمور الهامة قبل أن يموت وقبل أن يعبر الشعب نهر الأردن متجهين إلى كنعان، وهذا تضمن

نظام العبادة، وكيفية التصرف في الغنائم وأسرى الحرب، وتنظيم العلاقات فيما بينهم، مثل: كيفية التعامل مع مرتكبي الجرائم، عدم الانتقام، التعامل مع حقوق الميراث، وتأسيس نظام للحياة في أرض الموعد. وأخيرًا كان على موسى إلقاء خطاب وداع على الشعب مضمونه «تذكروا مَن أنتم، وإلى مَن تنتمون».

هذا هو الكلامُ الّذي كلَّمَ بهِ موسَى جميعَ إسرائيلَ في عَبرِ الأُردُنِّ، لأنَّ الرَّبَّ إلهَكَ قد بارَكَكَ في كُلِّ عَمَلِ يَدِكَ، عارِفًا مَسيرَكَ في هذا القَفرِ العظيمِ. الآنَ أربَعونَ سنَةً للرَّبِّ إلهِكَ معكَ، لَمْ يَنقُصْ عنكَ شَيءٌ.

«فاسألْ عن الأيّامِ الأولَى الّتي كانتْ قَبلكَ، مِنَ اليومِ الّذي خَلَقَ اللهُ فيهِ الإنسانَ علَى الأرضِ، ومِنْ أقصاءِ السماءِ إلَى أقصائها. هل جَرَى مِثلُ هذا الأمرِ العظيمِ، أو هل سُمِعَ نَظيرُهُ؟ هل سمِعَ شَعبٌ صوتَ اللهِ يتَكلَّمُ مِنْ وسَطِ النّارِ كما سمِعتَ أنتَ، وعاشَ؟ أو هل شَرَعَ اللهُ أنْ يأتيَ ويأخُذَ لنَفسِهِ شَعبًا مِنْ وسَطِ شَعبٍ، بتجارِبَ وآياتٍ وعَجائبَ وحَربٍ ويَدٍ شَديدَةٍ وذِراعٍ رَفيعَةٍ ومَخاوِفَ عظيمَةٍ، مِثلَ كُلِّ ما فعَلَ لكُمُ الرَّبُّ إلهُكُمْ في مِصرَ أمامَ أعيُنِكُم؟

إنَّكَ قد أُريتَ (الله جعلك ترى) لتَعلَمَ أنَّ الرَّبَّ هو الإلهُ. ليس آخَرَ سِواهُ. مِنَ السماءِ أسمَعَكَ صوتَهُ ليُنذِرَكَ، وعلَى الأرضِ أراكَ نارَهُ العظيمَةَ، وسَمِعتَ كلامَهُ مِنْ وسَطِ النّارِ. ولأجلِ أنَّهُ أحَبَّ آباءَكَ واختارَ نَسلهُمْ مِنْ بَعدِهِمْ، أخرَجَكَ بحَضرَتِهِ بقوَّتِهِ العظيمَةِ مِنْ مِصرَ، لكَيْ يَطرُدَ مِنْ أمامِكَ شُعوبًا أكبَرَ وأعظَمَ مِنكَ، ويأتيَ بكَ ويُعطيَكَ أرضَهُمْ نَصيبًا كما في هذا اليومِ.

فاعلَمِ اليومَ ورَدِّدْ في قَلبِكَ أنَّ الرَّبَّ هو الإلهُ في السماءِ مِنْ فوقُ،

وعلَى الأرضِ مِنْ أسفَلُ. ليس سِواهُ. واحفَظْ فرائضَهُ ووصاياهُ الّتي أنا أوصيكَ بها اليومَ لكَيْ يُحسَنَ إلَيكَ وإلَى أولادِكَ مِنْ بَعدِكَ، ولكي تُطيلَ أيّامَكَ علَى الأرضِ الّتي الرَّبُّ إلهُكَ يُعطيكَ إلَى الأبدِ».

«اِسمَعْ يا إسرائيلُ: الرَّبُّ إلهنا رَبٌّ واحِدٌ. فتُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ ومِنْ كُلِّ نَفسِكَ ومِنْ كُلِّ قوَّتِكَ. ولتَكُنْ هذِهِ الكلِماتُ الّتي أنا أوصيكَ بها اليومَ علَى قَلبِكَ، وقُصَّها علَى أولادِكَ، وتَكلَّمْ بها حينَ تجلِسُ في بَيتِكَ، وحينَ تمشي في الطريقِ، وحينَ تنامُ وحينَ تقومُ.

«جميعَ الوَصايا الّتي أنا أوصيكُمْ بها اليومَ تحفَظونَ لتَعمَلوها، لكَيْ تحيَوْا وتكثُروا وتَدخُلوا وتَمتَلِكوا الأرضَ الّتي أقسَمَ الرَّبُّ لآبائكُمْ. وتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطريقِ الّتي فيها سارَ بكَ الرَّبُّ إلهُكَ هذِهِ الأربَعينَ سنَةً في القَفرِ، لكَيْ يُذِلَّكَ ويُجَرِّبَكَ ليَعرِفَ ما في قَلبِكَ: أتَحفَظُ وصاياهُ أم لا؟ فأذَلَّكَ وأجاعَكَ وأطعَمَكَ المَنَّ الّذي لَمْ تكُنْ تعرِفُهُ ولا عَرَفَهُ آباؤُكَ، لكَيْ يُعَلِّمَكَ أنَّهُ ليس بالخُبزِ وحدَهُ يَحيا الإنسانُ، بل بكُلِّ ما يَخرُجُ مِنْ فمِ الرَّبِّ يَحيا الإنسانُ. ثيابُكَ لَمْ تبلَ علَيكَ، ورِجلُكَ لَمْ تتَورَّمْ هذِهِ الأربَعينَ سنَةً. فاعلَمْ في قَلبِكَ أنَّهُ كما يؤَدِّبُ الإنسانُ ابنَهُ قد أدَّبَكَ الرَّبُّ إلهُكَ.

«اِسمَعْ يا إسرائيلُ، أنتَ اليومَ عابِرٌ الأُردُنَّ لكَيْ تدخُلَ وتَمتَلِكَ شُعوبًا أكبَرَ وأعظَمَ مِنكَ، ومُدُنًا عظيمَةً ومُحَصَّنَةً إلَى السماءِ. قَوْمًا عِظامًا وطِوالًا، بَني عَناقَ الّذينَ عَرَفتَهُمْ وسَمِعتَ: مَنْ يَقِفُ في وجهِ بَني عَناقَ؟ فاعلَم اليومَ أنَّ الرَّبَّ إلهَكَ هو العابِرُ أمامَكَ نارًا آكِلَةً. هو يُبيدُهُمْ ويُذِلُّهُمْ أمامَكَ، فتطرُدُهُمْ وتُهلِكُهُمْ سريعًا كما كلَّمَكَ الرَّبُّ.

لا تقُلْ في قَلبِكَ حينَ يَنفيهِمِ الرَّبُّ إلهُكَ مِنْ أمامِكَ قائلًا: لأجلِ

برّي أدخَلَني الرَّبُّ لأمتَلِكَ هذِهِ الأرضَ. ولأجلِ إثمِ هؤُلاءِ الشُّعوبِ يَطرُدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أمامِكَ. ليس لأجلِ برِّكَ وعَدالَةِ قَلبِكَ تدخُلُ لتَمتَلِكَ أرضَهُمْ، بل لأجلِ إثمِ أولئكَ الشُّعوبِ يَطرُدُهُمُ الرَّبُّ إلهُكَ مِنْ أمامِكَ، ولكي يَفيَ بالكلامِ الّذي أقسَمَ الرَّبُّ علَيهِ لآبائكَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. فاعلَمْ أنَّهُ ليس لأجلِ برِّكَ يُعطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ هذِهِ الأرضَ الجَيِّدَةَ لتَمتَلِكَها، لأنَّكَ شَعبٌ صُلبُ الرَّقَبَةِ (معاند).

ودَعا موسَى جميعَ إسرائيلَ وقالَ لهُمْ: «أنتُمْ شاهَدتُمْ ما فعَلَ الرَّبُّ أمامَ أعيُنِكُمْ في أرضِ مِصرَ بفِرعَوْنَ وبجميعِ عَبيدِهِ وبكُلِّ أرضِهِ، التَّجارِبُ العظيمَةُ الّتي أبصَرَتها عَيناكَ، وتِلكَ الآياتِ والعَجائبَ العظيمَةُ. ولكن لَمْ يُعطِكُمُ الرَّبُّ قَلبًا لتَفهَموا، وأعيُنًا لتُبصِروا، وآذانًا لتَسمَعوا إلَى هذا اليوم. فقد سِرتُ بكُمْ أربَعينَ سنَةً في البَرّيَّةِ، لَمْ تبلَ ثيابُكُمْ علَيكُمْ، ونَعلُكَ لَمْ تبلَ علَى رِجلِكَ. لَمْ تأكُلوا خُبزًا ولَمْ تشرَبوا خمرًا ولا مُسكِرًا لكَيْ تعلَموا أنّي أنا الرَّبُّ إلهُكُمْ.

«إنَّ هذِهِ الوَصيَّةَ الّتي أوصيكَ بها اليومَ لَيسَتْ عَسِرَةً (صعبة) علَيكَ ولا بَعيدَةً مِنكَ. لَيسَتْ هي في السماءِ حتَّى تقولَ: مَنْ يَصعَدُ لأجلِنا إلَى السماءِ ويأخُذُها لنا ويُسمِعُنا إيّاها لنَعمَلَ بها؟ ولا هي في عَبرِ البحرِ حتَّى تقولَ: مَنْ يَعبُرُ لأجلِنا البحرَ ويأخُذُها لنا ويُسمِعُنا إيّاها لنَعمَلَ بها؟ بل الكلِمَةُ قريبَةٌ مِنكَ جِدًّا، في فمِكَ وفي قَلبِكَ لتَعمَلَ بها.

«اُنظُرْ. قد جَعَلتُ اليومَ قُدّامَكَ الحياةَ والخَيرَ، والموتَ والشَّرَّ، بما أنّي أوصَيتُكَ اليومَ أنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إلهَكَ وتَسلُكَ في طُرُقِهِ وتَحفَظَ وصاياهُ وفَرائضَهُ وأحكامَهُ لكَيْ تحيا وتَنموَ، ويُبارِكَكَ الرَّبُّ إلهُكَ في الأرضِ الّتي أنتَ داخِلٌ إليها لكَيْ تمتَلِكَها. فإنِ انصَرَفَ قَلبُكَ ولَمْ تسمَعْ، بل غَوَيتَ (ضللت) وسَجَدتَ لآلِهَةٍ أُخرَى وعَبَدتَها، فإنّي أُنبِئُكُمُ

اليومَ أنكُمْ لا مَحالَةَ تهلِكونَ. لا تُطيلُ الأيّامَ علَى الأرضِ الّتي أنتَ عابِرٌ الأُردُنَّ لكَيْ تدخُلها وتَمتَلِكَها.

أُشهِدُ علَيكُمُ اليومَ السماءَ والأرضَ. قد جَعَلتُ قُدّامَكَ الحياةَ والموتَ. البَرَكَةَ واللَّعنَةَ. فاختَرِ الحياةَ لكَيْ تحيا أنتَ ونَسلُكَ، إذ تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ وتَسمَعُ لصوتِهِ وتَلتَصِقُ بِهِ، لأنَّهُ هو حَياتُكَ والّذي يُطيلُ أيّامَكَ لكَيْ تسكُنَ علَى الأرضِ الّتي حَلَفَ الرَّبُّ لآبائكَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أنْ يُعطيَهُمْ إيّاها.

رغم أن موسى كان يشكو من أنه ثقيل اللسان ولا يجيد الكلام، إلا أن خطابه الوداعي لبني إسرائيل وكلمات التشجيع القوية كانت حافزًا للشعب لسنوات عديدة، للتمسك بإيمانهم ورجائهم. لقد عرف موسى الله وأحب شعبه من كل قلبه، وهذا ما عبر عنه بصلاة ختامية مليئة بالتعزية والفرح والولاء والإخلاص.

فدَعا موسَى يَشوعَ، وقالَ لهُ أمامَ أعيُنِ جميعِ إسرائيلَ: «تشَدَّدْ وتَشَجَّعْ، لأنَّكَ أنتَ تدخُلُ مع هذا الشَّعبِ الأرضَ الّتي أقسَمَ الرَّبُّ لآبائِهِمْ أنْ يُعطيَهُمْ إيّاها، وأنتَ تقسِمُها لهُمْ. والرَّبُّ سائرٌ أمامَكَ. هو يكونُ معكَ. لا يُهمِلُكَ ولا يترُكُكَ. لا تخَفْ ولا ترتَعِبْ».

وكلَّمَ الرَّبُّ موسَى في نَفسِ ذلكَ اليومِ قائلًا: «اِصعَدْ إلَى جَبَلِ عَباريمَ هذا، جَبَلِ نَبو الّذي في أرضِ موآبَ الّذي قُبالَةَ أريحا، وانظُرْ أرضَ كنعانَ الّتي أنا أُعطيها لبَني إسرائيلَ مُلكًا، ومُتْ في الجَبَلِ الّذي تصعَدُ إليهِ، وانضَمَّ إلَى قَوْمِكَ، كما ماتَ هارونُ أخوكَ في جَبَلِ هورٍ وضُمَّ إلَى قَوْمِهِ. لأنَّكُما خُنتُماني في وسَطِ بَني إسرائيلَ عِندَ ماءِ مَريبَةِ قادَشَ في بَرّيَّةِ صينٍ، إذ لَمْ تُقَدِّساني في وسَطِ بَني إسرائيلَ. فإنَّكَ تنظُرُ

الأرضَ مِنْ قُبالَتِها (على بُعد)، ولكنكَ لا تدخُلُ إلَى هناكَ إلَى الأرضِ الّتي أنا أُعطيها لبَني إسرائيلَ».

وصَعِدَ موسَى مِنْ عَرَباتِ (سهول) موآبَ إلَى جَبَلِ نَبو، إلَى رأسِ الفِسجَةِ (أعلى قمم جبل نبو) الّذي قُبالَةَ أريحا، فأراهُ الرَّبُّ جميعَ الأرضِ مِنْ جِلعادَ إلَى دانَ، وجميعَ نَفتالي وأرضَ أفرايِمَ ومَنَسَّى، وجميعَ أرضِ يَهوذا إلَى البحرِ الغَربيِّ، والجَنوبَ والدّائرَةَ بُقعَةَ أريحا مدينةِ النَّخلِ، إلَى صوغَرَ. وقالَ لهُ الرَّبُّ: «هذِهِ هي الأرضُ الّتي أقسَمتُ لإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ قائلًا: لنَسلِكَ أُعطيها. قد أرَيتُكَ إيّاها بعَينَيكَ، ولكنكَ إلَى هناكَ لا تعبُرُ». فماتَ هناكَ موسَى عَبدُ الرَّبِّ في أرضِ موآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ودَفَنَهُ في الجِواءِ (السهل) في أرضِ موآبَ، مُقابِلَ بَيتِ فغورَ. ولَمْ يَعرِفْ إنسانٌ قَبرَهُ إلَى هذا اليومِ.

وكانَ موسَى ابنَ مِئَةٍ وعِشرينَ سنَةً حينَ ماتَ، ولَمْ تكِلَّ عَينُهُ (لم يضعف بصره) ولا ذَهَبَتْ نَضارَتُهُ.

فبَكَى بَنو إسرائيلَ موسَى في عَرَباتِ موآبَ ثَلاثينَ يومًا. فكمُلَتْ أيّامُ بُكاءِ مَناحَةِ موسَى.

ولَمْ يَقُمْ بَعدُ نَبيٌّ في إسرائيلَ مِثلُ موسَى الّذي عَرَفَهُ الرَّبُّ وجهًا لوَجهٍ، في جميعِ الآياتِ والعَجائبِ الّتي أرسَلهُ الرَّبُّ ليَعمَلها في أرضِ مِصرَ بفِرعَوْنَ وبجميعِ عَبيدِهِ وكُلِّ أرضِهِ، وفي كُلِّ اليَدِ الشَّديدَةِ وكُلِّ المَخاوِفِ العظيمَةِ الّتي صَنَعَها موسَى أمامَ أعيُنِ جميعِ إسرائيلَ.

القصة أعظم قصة شهدها التاريخ

تخبرنا **القصة** عن عمل الله العظيم
من أجل إنقاذ وخلاص العالم، **"قصة محبة الله للإنسان"**.
والتي تدور أحداثها في ٣١ فصل شيق وبسيط،
نقرأ فيها أجزاء من الكتاب المقدس
ونتعرف من خلالها على العديد
من الأحداث والشخصيات.

نُسجت أحداث **القصة** في سياق متسلسل ومتكامل
بداية من سفر التكوين وحتى نهاية سفر الرؤيا،
بطريقة عميقة وشيقة مليئة بالمواقف والصراعات
والتحديات والأحداث المؤثرة
التي توجت بفداء الله وخلاصه للبشرية.

القصة، هي قصة حقيقية

دار الكتاب المقدس
The Bible Society of Egypt

9789772304479